

ثمن النسخة الواحدة فرنكان واجرة البوسطة غرش صاغ

الوحش الوحش الوحش

او

سياحة في ارض لبنان

بقالب رواية فلسفية اجتماعية ادبية

✽ تأليف ✽

فرح الطون

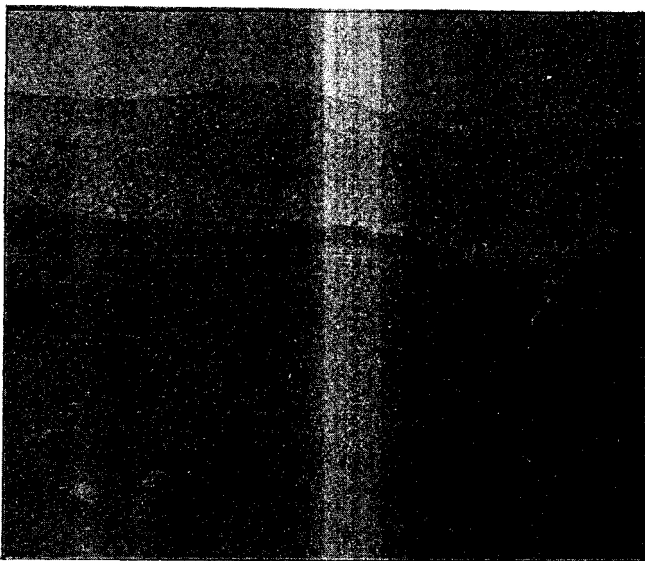
منشئ مجلة (الجامعة)



✽ منظر شجرة الارز ✽

اكبر اشجار الارز مصغرة مئات مرات

الاسكندرية في ١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٣



ارز لبنان

✧ منظر الارز من بعيد وفوقه الجبال وامامه السياح يقصدونه ✧
حرس الارز ظاهر في الوسط



(هذان الرسمان منقولان عن صورتين فوتوغرافيتين مصورتين في العام الماضي)



﴿الوحش الوحش الوحش﴾

الفصل الأول

﴿ على طريق الجبل ﴾

طرق الارز . سفر سليم وكليم . الشاعر لافنتين والمجدد اللبناني . نادرة عن المكارين والسوقة
بيع وقلحات وما يقوم بينهما من المحصام . نفس الحضري ونفس القروي . بعض اغاني
لبنانية . نجمة الصباح رفيقة المكارين المحبوبة

أشهر الطرق من البحر الى (ارز لبنان) طريقان . واحدة عن طريق اهدن فبشري .
او الحدث فحسرون فبشري - وهي من امام الارز . وواحدة عن طريق بعلبك من وراء
الجبال الشاخنة المحيطة بهذا الحرش . والطريق الاولى طريق الثغور من طرابلس حتى البترون .
والطريق الثانية طريق السياح الذين يصعدون من بيروت الى بعلبك لمشاهدة آثارها ثم
يعطفون منها الى الارز لمشاهدة آثاره الجميلة الطبيعية بعد مشاهدة آثار بعلبك الصناعية .
ففي ليلة ٨ اغسطس من السنة التي نكتب تاريخ حوادثها هنا فرع مكارين آخر
الليل باب غرفة عالية كائنة في غربي قرية قلحات فوق طرابلس الشام وهو ينادي ياخواجه
كليم ياخواجه كليم . فدوى صوته في القرية في صفاء ذلك الليل دويًا هرت له الكلاب
التي كانت راقدة في الشارع قرب تلك الغرفة فساعد هريها على نبيه النائمين فيها . ولذلك
لم يلبث ان فتح الباب واطل منه الخواجه كليم وهو يفرك عينيه ويقول : هل ظهر نجم الصباح
يا جرجس . فاجابه المكارى اظنه سيظهر بعد نصف ساعة على الكثير والارحج ان الشمس
تشرق لنا عند بطرام . فقال كليم فلنعمل اذا فانتا نزوم الوصول الى الجبل قبل اضطرام
وطيسها فرارًا من الحر

وحينئذ التف كليم لينبه رفيقًا له كان نائمًا معه في الغرفة فوجده واقفًا وراءه . فقال

له هلم نركب يا سليم فان مطيتينا حاضرتان ولنلبس ملابسنا أولاً
وبعد ثلث ساعة كان كلیم وسليم على جوادين قوبين سائرین في صفاء الليل تحت اشعة
النجوم الضئيلة ولا انیس لهما غير المکاري يسير وراءهما وهو تارة يحدو فرسيه بكلام مشجع
وتارة يزجرهما لانهما صدمتا حجراً في طريقهما . ولم يكن يسمع في ذلك الهدوء ما عدا وقع
حوافر الجوادين وصوت المکاري سوى اصوات الحشرات الصغيرة التي تنتشر في لبنان على
اشجار الزيتون والتوت ونشد في الليل والنهار اناشيد متواصلة

ويظهر ان جفون كلیم وسليم كانت لا تزال مثقلة بالنعاس لانهما كانا يثاءبان من حين
الى حين . فرغبة في طرد النعاس ابتداءً كلیم قائلاً : اسمع يا صاح اصوات هذه الحشرات
الصغيرة التي تهكم عليها لافوتين تهكمًا شديدًا (١) حقًا انه ظلمنا بهذا التهكم ترى ما عساها
كانت تجيبه لو درت بتهكمه

فثاءب سليم وقال : لا ريب انها كانت تجيبه جوابًا جميلًا . فانها نقول له « ليس بالخبز
وحده تحمي الكائنات الحية بل الحياة الحقيقية هي الحياة الروحية . وحياة الروح عندهذه
الحشرات نشيدها المستمر الدال على انها في حالة الانبساط والراحة . ولو خبرت في ايها احب
اليها . فقدانها هذه الحياة الروحية التي هي فطرتها وطبيعتها ام فقدانها الخبز اليومي الذي
هو حياتها البدنية فانها لا شك تختار فقدان هذه الحياة على تلك . وما الذنب في ذلك ذنبها
لانها هكذا صنعت وهكذا فطرت . ومع ذلك فان لافوتين لم يقدر على قهرها بتهكمه في
ذلك المثل الا لانه فاس معيشتها على معيشة البشر وبذلك جاءت حجة قوية . ولكنه لو امعن
النظر لراى ان هذا الحيوان الصغير لا يحتاج الى القوت بعد مرور ايام الحصاد حتى في اشد
اوقات الشتاء . فان قطرة من قطرات المطر كافية لشربه . وورقة واحدة من اوراق الشجر
كافية لايوائه وتدفيئته . وافل حشرة صغيرة او دودة حقيرة كافية لتغذيته . ولو عقل هذا
الحيوان لاجاب ذلك الشاعر : عندنا في الطبيعة ليس من حيوان ولا نبات يحتاج الى قوت
ويبيت بلا غذاء . فان فظائع كهذه النظائع لا تحدث الا بين البشر في الاجتماع . نعم نحن

« 1 » La cigale et la fourmie (المجدد والنملة) قصة المجدد والنملة مشهورة

وخلاصتها ان تلك الحشرة التي تصرف اوقاتها في الغناء جاءت في الشتاء الى النملة وطلبت منها ان تقرضها
شيئًا من القوت حتى يضي فصل الشتاء . فاجابها النملة ولكن ماذا كنت تصنعين في الصيف في ايام
الحصاد ولماذا لم تذخرين شيئًا لهذا اليوم العصيب . فاجابها الحشرة . في ايام الحصاد كنت اغني .
فحككت النملة واجابت : كنت تغنين يومئذ . اذا فارقني الآن . وقد اراد لافوتين بهذا المثل
البدیع اظهار وجوب التدبير والا ذخار لافوات الضيق

نأكل بعضنا بعضاً أحياناً ولكننا نفعل ذلك حين الحاجة فقط قياماً بسد عوزنا . اما انتم فمع كونكم ذوي عقول تعقل ونفوس تدرك فانكم تأكلون بعضكم بعضاً بحاجة ومن غير حاجة . وكثيراً ما يكون ذلك ارضاءً لكبريائكم فقط لا ضرورة : ولذلك قال احد حكمائكم (١) يا وحوش البر وافاعي الغابات خذيني اليك آكل من طعامك واشرب من مائك لا تخاص من حجة الانسان

فقيهه كليم هنا وقال نعم هذا خير ما يعتذر به عن طياشة ذلك الطوير المطرب وكأنا المكاري ضجر من هذه اللغة التي لم يكن يفهم منها شيئاً فتحول ضجره الى غضب على جواده فصاح به باعلى صوته « ديه سوق . . » وهم بالتمام عبارته . فصاح به كليم اياك ان تكلمها يا جرجس . فقال جرجس وما هذا يا معلمي . فقال كليم انت فهمت كلامي بلا تفسير فسأل سليم كلياً وما معني كلامك . فاجاب كليم باللغة الانكليزية : هي نادرة مضحكة تحدث بين بعض هؤلاء المكارين والعائلات المدنية التي تصيّف في قراهم . فانهم يسمون هذه العائلات « سوقه » وحينما يرومون التهمك عليهم في الطريق يقول احدهم لرفيقه « سوق يا اخي سوق يلعن ها لسوقه » يظهر انه غير راضٍ عن سير الدواب والحقيقة ان مراده « سب » « السوقه » في وجوههم دون ان يدروا بذلك

فضحك سليم وقال : يظهر ان صاحبنا غير راضٍ عنا حتى رام اهانتنا . والذنب في ذلك ذنبنا لاننا لم نهتم بملاطفته لتستيله الينا . ثم التفت سليم الى جرجس ليفاتحه بالحديث فقال - لماذا سرت بنا يا جرجس على هذه الطريق من الوادي . خذنا من فوق عن طريق « فيع »

فقال جرجس لا يا معلمي لا نستطيع الآن المرور عن طريق فيع لحدوث خصام شديد بين قريتنا واهالي تلك القرية منذ يومين فقال سليم نعم سمعنا بهذا الخصام ويقال ان قد جرح رجلان واسقطت امرأة في اثناائه فما سببه

فقال جرجس . سببه يا معلمي خصام بين اولاد فيع واولاد قلمات . فقد كان خمسة اولاد من اولاد فيع يلعبون بازاء حقول العنب الكائنة بين القريتين وياً يكون من العنب بلا حق فاسرع اليهم ثلاثة من اولادنا لردعهم عن الاعتداء على رزقنا فقرّر اولاد فيع ووقفوا بعيداً فصار اولادنا يتغنون بغناء قديم عندهم وهو

يارايح الى فيع دبدب لا تضيع

ياسين قلعات احسن من شيخ فيع

وكان بين اولاد فيع ابن شيخ فيع نفسه فاغتاظ لاهانة ابيه فركض الى شجرة توت قريبة فتسلقها وقصف منها غصناً ثم اندفع نحو اولادنا بينما كان رفاقه ينفنون بغنائهم

يارايح الى قلعات تملي منها . . اط

ياسين فيع احسن من شيخ قلعات

ولما وصل ابن شيخ فيع الى اولادنا امسكوه (وتزولوا فيه) ضرباً فاسرع رفاقه الى نجدته فدار الضرب بين الفريقين فخرج منها بضعة اولاد . فركض حينئذ احد اولادنا ووقف فوق القرية وصاح ان اهل فيع قتلوا اولادنا . فهب كثيرون من الرجال الى محل الحادثة . وكذلك ركض احد اولاد فيع وابلغ اهله مثل ذلك الخبر فاسرع بعض رجالها ايضاً . ولما التقى الفريقان في محل الحادثة دار الضرب بين الكبار بعد ان كان بين الصغار ولو لم يحضر « الاغا » مع تفرين لاشتبك القتال بين اهل القريتين جميعاً . - ولذلك لا تقدر ان نمر الآن بجانب فيع لثلاث فجرشوا بنا كما انهم هم ايضاً لا ينفردون للمرور بجانب قريتنا

وكان الجوادان قد صعدا في ذلك الحين من وادي قلحاط وجانباً قرية فيع . ذلك ان قرية قلحات كائنة على اكمة منخفضة بين واديين من اشجار السنديان واحد من جهة الشرق وواحد من جهة الغرب . وهي على مسافة ربع ساعة من دير البلند المشهور المشرف من جبله العالي على مدينة طراباس الشام . وهواء هذه القرية جاف نقي لانها واقعة بين حرشين من السنديان كما تقدم

وقطع سليم وكليم الطريق حتى فوق فيع دون ان يطلع نجم الصباح الذي وعدا بطلوعه قريباً . فقال كلهم لجرجس : لم تطلع نجمة الصبح بعد يا جرجس . فاجاب جرجس ستطلع قريباً . فضحك كلهم وقال لرفيقه : يظهر ان صاحبنا « عمها معنا » فقال سليم واي شيء عمل . فقال كلهم : للمكارين عادة وهي انك اذا طلبت من احدهم السفر في الغد قبل طلوع نجم الصبح بنصف ساعة يجيئك قبل طلوعها بساعتين ويقول لك انها ستطلع بعد ربع ساعة . وهكذا تركب معه في ظلة الليل وتقطع الطريق كلها وتصل الى مكان قصدك قبل ان تطلع نجمة الصباح . وبذلك يكفي نفسه ودابته عذاب الحر في اثناء الطريق . فالظاهر انه صنع معنا ما يصنعه غيره مع غيرنا . وربما وصلنا الى الجبل قبل ان تطلع الشمس مع ان بيننا وبينه نحو خمس ساعات .

فتأهب سليم وقال اف لاجل هذا اشعر بنعاس شديد واكاد انام على ظهر الجواد
ولما رأى صاحبنا جرجس ان الحديث لا يطول بينه وبين رفيقه بل هما
يتحدثان معاً لوحدهما رأى ان يسلي نفسه بنفسه . وكان الجو صافياً كأنه مرآة
الغربية والنجوم تسطع فيه كصابيح بعيدة معلفة في قبة الفلك فلا تكاد تثير طريق الجوادين
في سيرهما . ولكن الجوادين كانا قد اعتادا السير في ظلام الليل ولذلك كانا يبصران الطريق
المخططة كأنهما في نهار . وهذا ما جعل الفارسين يهجان له . وكان الهواء يهب في خلال
نور النجوم الضئيل بارداً ضعيفاً فيشرح الصدر وينعش الفؤاد . وتلك الطبيعة القروية الساذجة
كانت ساكنة هادئة كأنها تستريح تحت جناح الليل من عناء النهار . فاثار هذا المنظر الجميل
في نفس جرجس عاطفة الجمال الكامنة فيها فاندفع ينشد الاناشيد التي يعرفها . فهل درى
حينئذ ذلك القروي الجاهل الساذج انه بعمله دل على ان نفسه كانت في تلك البرهة ارقى
من نفسي رفيقه الحضريين . ان نفسه لدى مناظر الليل البهية ثارت على غير علم منها
واندفعت لترجم بالغناء والنشيد عما كان يختلج فيها حينئذ من عاطفة الجمال بسبب تلك
المنظر . واما نفسا رفيقه الحضريين فقد كانتا مشغولتين بالتأؤب والنعاس عن الجمال
الذي كان يحيط بهما . فلا ريب ان ذلك كان من افضل الادلة على ان النفس الاولى
ربيت في احضان الطبيعة قليلة الحاجات قوية على كل متاعب الحياة . والنفسان الاخرتان
ربيتا ضعيفتين بين جدران المدن لا تستطيعان مقاومة سلطان ضعيف كسلطان النعاس
الذي هو - لمن نام ساعتين او ثلاثاً - اخف الحاجات الطبيعية

ولما اخذ جرجس في الانشاد اصغى اليه كليم وسليم . وقال كليم اسمع اغاني الجبل .
وكان جرجس ينشد

حنياناً يا حنيانا يا حنيانا يا قمر سأم على غيابنا

فضحك كليم وقال " من سوء الحظ ان اتهم غائب ايضاً " فضحك سليم لهذه الحاشية .

اما جرجس فانه كان مستمراً في الانشاد

يا ظريف الطول وقف نقولك رايح عالمه وبلاك احسن لك

خايف يا محبوب تروح وتثلك بتعاشر الغير وتنساني انا

فهنا التفت سليم الى جرجس وصاح به : ما هذا ما هذا الغناء اعده . فاعاده جرجس
فتنهده سليم وقال لله درّ قائل هذين البيتين فكأنه خرق بنظره حجاب الغيب وتنبأ عما يكون
من المهاجرة الى اميركا - « خايف يا محبوب تروح وتثلك » نعم قد راح المحبوبون

وتملكوا هناك « بتعاشر الغير وننساني انا » نعم قد عاشروا الامير كهين وامتزجوا بهم وكثيرون منهم نسوا بلادهم وتجنسوا بغير جنسيتهم . فيا ايها الشاعر العامي الذي كشف له الغطاء عن المستقبل قبل وقوعه انك شاعر عظيم وان كنت لا تعرف القراءة والكتابة وفي خلال تبادل هذه الافكار بين سليم وكليم كان جرجس يمجّد في الانشاد في هدوء ذلك الليل فيدوي صوته دوتاً

يا ظريف الطول يا سنّ الضمّوك
يا مربي الدلال بحضن امك وابوك
جاني خبر يا حبيبي خطبوك
تخطب يا عيني وتزوج بالهنا
ميمانا علمجانا علمجانا
يا حباب لا تغبوا جيت انا
واقفة بالباب والباب صغيّار
نظرت لي بعينها وصرت انا محيّر
ويا اللي مفارق حبيبو كيف حالوصار
ما حد فارق حبيبو غريب انا
وكأنّ جرجس سئم هذا القدر بعد دورين
فدخل باعلى صوته في القدر الآتي الذي
يحاول حنه على الخصوص في هدوء الليل

يا نائمين انهضوا جتكم حرامياً	هلولولوليا هلولولوليا عيني يامولياً
مروا عليّ العدى وبالعين صابوني	ونقولي صابوني ونقولي صابوني
ما بحيد عن عشرتك يا نور عينيّ	ولو قطعوني شقف كالواح صابوني
يا نار قلبي اشعلي واشوي لحم نيّ	هلولولوليا هلولولوليا عيني يا لانيّة
السّرّ اللي بيننا ايش وصلو للغبر	ومن هون لارض الدير ومن هون لارض الدير
وان كان ما فيه حبر بدموع عينيّ	وان كان ما فيه ورق لا كتب على جناح الطير
يا خدود بنتٍ لكم باهرة الحما	وتحوشي بالكمره وتحوشي بالكمره
سمره تشيل الحمل قنطار وشوياً	وان عبروني وقالوا محبوبتك سمرا
يا نار قلبي اشعلي واشوي لحم نيا	هلولولوليا هلولولوليا عيني يا لانيّة
اول عريس طلب لبش ما عطيتيني	والبنت تقول لامها يا امي ظلمتيني
وثالث عريس اللي اجا يانور عينيّ	وثاني عريس اللي طلب دبنو على ديني
	ثم انتقل الى القدة الاتي

بأدوم عيني يادوم تعذبي ونقول اليوم

يا طير باللي طائر يا لبي اسمك عبد الله
بوسه ما يمحصل منك (١) باللي ما تخاف من الله

يا طير فابنك طائر قاعد براس الزعروره
جيب من حبي علامه الله يخلي ها الصورة

ولما سئم الفارسان صوت مكاريها أخذوا في الحديث . فقال كليم انني اشعر بان جوادي صار بعد الغناء انشط مما كان قبله فهل تظن ذلك لانه طرب لصوت صاحبه . فقال سليم دع المزاح جانباً فاني انا نفسي صرت اشعر بشيء من النشاط وذهب عني النعاس تقرباً بعد سماعي هذا الغناء . ولا شك ان ذلك من تأثير الشعر علي فقال كليم وهل اعجبك هذا الغناء . فقال سليم ان الاءمر الذي ادهشني في هذا الغناء رفته وتجردته من الاقوال الباردة التي تحدش الادب . وظهر ان هذا الغناء غناء عامي وهو من ملاهي الطبقات الضعيفة . فافتضاه على وصف العواطف الحبية بكلام رقيق ادبي خال من الالفاظ القبيحة والتلميحات الفظيعة دليل مدهش على ارتقاء الاداب هنا بين العامة وصلاح نفوسها . لانك تعلم ان الاناشيد العامة قد تكون افضل دليل على اخلاق الامم . وحقاً ان من يسمع في افطار العالم ويشاهد قبائح بعض طبقات العامة فيه ثم يعود الى بلاد كهذه البلاد ويسمع اناشيد كهذه الاناشيد يفضل آداب هؤلاء السذج على آداب كثير من عامة الغربيين المتمدنين

وكان الجوادان قد قطعاً عند هذا الكلام قرية فيع وانحدرا في سهل بطرام . فالتفت كليم الى المكاري وصاح : يا جرجس لم تطلع نجمة الصبح بعد . فاجاب جرجس وهو يحك راسه باظافره : ستطلع قريباً يا معلمي . ثم لطم كف الجواد بيده صارخاً ديه . ديه . فقال سليم ان سوقك الجواد يركضه هو اما نجمة الصبح فنبق في مكناهادون ان تركض فركضها هي اذا قدرت : فتهد جرجس هذه المرة . ولا شك انه قال حينئذ في نفسه شيئاً لا يحول للرفيقين .

وبعد سكوت خمس دقائق انفت كليم الى سليم وسأله على اي شيء عزمنا الان في سفرنا هذا . هل نذهب الى اهدن لمشاهدة اصحابنا فيها ام لا . فقال سليم الاءمر اليك

فقال كليم بما انا ذاهبون الآن الى الارز عن طريق الحدث وهي الطريق الغربية فاننا نعود منه عن الطريق الشرقية طريق اهدن . فساءل سليم اذاً لا نعود الى الحدث بعد مبارحتها ؟ فقال كليم كلا فان طريق اهدن مقابلة لطريق الحدث . فقال سليم اذاً يجب ان نقيم عشرة ايام في الحدث بدل الخمسة التي اتفقنا عليها وذلك اكراماً لصاحبنا فيها . فقال كليم سنرى ذلك بعد وصولنا . فقال سليم وكم يوماً عزمنا على الإقامة في الارز . فاجاب كليم بقدر ما تطيب لنا الإقامة . فقال سليم هل وزنت نفسك قبل السفر من طرابلس . فقال كليم نعم فكانت زنتي ٦١ اقه . وانت . فقال سليم انا وزنت نفسي قبل سفري من بيروت فكانت زنتي ٥٩ اقه : فقال كليم هازماً رأسه . كلنا وزنا وزن طيور لفة اجسامنا . فقال سليم ضاحكاً لا تعب الرقيق ولا تستضعفه فالعود والصواعق لا تشاء الا عن رقيق السحاب . فقال كليم لا ريب عندي انك بعد نزولك من الارز لتغير رأيك فتمدح السماء لا الرقاق لان كل واحد منا سيزيد على الاقل ٥ اقات .

وبعد نصف ساعة انقضى في سكوت تام لان كل واحد من الرفقاء الثلاثة كان يناجي نفسه واذا بجرجس يصيح ملء صوته : الحمد لله . فقال كليم ماذا فقال جرجس طلعت النجمة فالفت كليم وسليم الى جهة الشرق وكانت امامهما فابصرا « الزهرة » في طرف المشرق من وراء الجبال تنهذى بجبالها الفتان ونورها الباهر لئيه به على جميع النجوم الزواهر التي كانت تزين حينئذ قبة الفلك الدائر . فصاح كليم وسليم لدى هذا المنظر الفخيم : تبارك الخالق . تبارك الخالق . اما جرجس فانه رفع يديه نحو رفيقته في اسفاره وقال « هَلِك ومستهلك جعلك علينا يوماً مبارك » ففسى لفرحه ان هذا الكلام يُقال للهلال حين ظهوره في اول الشهر لا لنجم الصباح . ولكن ما الذي يمنع جرجس ان يقول لرفيقتة المحبوبة ما يُقال للهلال عادة هل هو افضل منها . كلا . لانها تهدي في آخر الليل كما يهدي الهلال في اوله . واذا كان لاحدهما مزية على الآخر فالمزية (للنجمة) الجميلة . ذلك لان صحبة الهلال تنتهي بالاستياء منه لافوله وبقي المسافر حزناً بعده لما يجده من الوحشة اما صحبة (الزهرة) فتنتهي بالسرور لانها رسول الصباح ومقدمة النور . وكل الذين عانوا مشاق السفر في الظلام في ليالي البرد والمطر والريح واخطار الطريق يعرفون قدر (الزهرة) متى طلعت تبشر بدنو الشمس التي تنعش وتدفي ، والنهار الذي يبعد الاخطار . فهي عندهم رسول الامل وابتهامة الطمانينة وعهد من الخالق على نفسه ان لا يجمل ظلام الليل ظلاماً ابدياً . فهي اذاً عندهم حاجة وضرورة لا مسرة يلهى بها وتنتج النفس بمشاهدتها . ولذلك كانت حياتهم

ومعشتم . رتبطه بحياتها . وهذا هو السبب في انه بينما كان سليم وكليم يخاطبانها بقولهم
(يا الالهة الجمال التي عبدها الاقدمون . يا عروس كواكب السماء . يامضيعة ابن رشد (١))
- كان المكاري جرجس ينظر الى دليلته السماوية نظار المرؤوس الى رئيس له تربطه به
مصالح ومنافع متبادلة لا لمجرد الاستحسان فقط . ولو مثلت الزهرة حينئذ فتاة كما كان
يمثلها المنقدمون لشوهت بتسم للمكاري جرجس وتهتم به اشد من اهتمامها برفيقه
الحضر بين الظرفين

الفصل الثاني

✽ كلام عن الدير امام دير ✽

عند كسبا . مدخل الجبل الحقيقي . صورتان للدير واحدة عليه وواحدة معه . النذور الثلاثة التي من
اجلها اضهد الفرنسويون رهبانناهم . تغيير وظيفة الدير بعض الشيء تبعاً للعصر
الجديد وجعلها التعبير والتبديد

وبعد برهة اخذت ذرات الفجر تنتشر في الفضاء وصارت نجوم السماء تبهت خجلاً من
سلطانة النهار القادمة على هودجها الناري يبهاتها العادي . وقد طلعت الشمس لاصحابنا
الثلاثة عند قرية كسبا حين دخولهم بين الجبلين في الطريق المؤدية الى اعالي لبنان (١)
وان من لم تطلع عليه الشمس في ذلك المكان بعد السير اربع ساعات في ظلمة الليل لا يدرك
اللذة التي شعر بها سليم وكليم حين استقبلها تلك الطريق الصاعدة . فقد كان عن يمينها
جبل عال يمران بجانبه وعن يسارها جبل آخر عال بعيد عنها . وعلى قمة هذا الجبل الشمالي
بناء حوله اشجار باسقة ولكنهم تظهر صغيرة لبعد المسافة والبناء بينهما كأنه عشب طائر بني هناك
في مائمن من الزوابع والعواصف . وفي الحقيقة انه كان عشباً يبنى للامن من العواصف
ولكنه عشب انساني بناء البشر الذين يحبون الانفراد عن معارك الاجتماع وعواصفه وهو الدير

(١) وجدوا في تلاخيص الفيلسوف ابن رشد في حياته هذه العبارة « ظهر ان الزهرة احد الالهة » فكان
هذا القول من جملة الاسباب التي اتخذها حساده لنتبه والنقبة عليه . راجع ابن رشد وفلسفته الصفحة ١٧

* ١ صارت المركبات اليوم تدير على طريق اهدن حتى بشري ولذلك انصرف اليها المسافرين
عن هذه

المعروف بدير «حنطوره» - وعلى موازاة الطريق الى اليسار تحت الدير يسمع الراكب هديرًا شديدًا ناشئًا عن مرور نهر ابي علي في واديه المقدس مخدراً الى طرابلس . وكلما صعد الراكب بين ذبك الجبلين على الحاف النهر بين نسبات الصباح التي تداعب وجهه باردة أكثر من هواء السهل يشعر ان جبل لبنان الحقيقي انما يبتدىء من ههنا . وحينئذ يخطر في باله ان سكان هذا القسم من الجبل كانوا سيفي كل الازمنة والعصور فذى في عيون الفاتحين . فان جبالهم كانت تحميهم أكثر من كل الحصون والمدافع . ولذلك كانت تلك الارض عبارة عن حرّم الحرية المقدس . نعم ان هذا الحرّم قد فتح مراراً وأُطخ مراراً ولكن الغلبة كانت دائماً للدفاعيين عنه . ذلك ان الطبيعة نفسها كانت تحارب معهم بين صفوفهم . وربّ مائة رجل من اهله فقط لقوا بين تلك الآكام والوهاد عشرة آلاف جندي بمدافعهم دون ان يتركوا لهم سبيلاً اليهم - فثارت عواطف سليم وكليم وتصوراتهما لدى هذه الافكار وهذه المناظر الجميلة فاحسا انهما صاعدان الى عالم آخر غير هذا العالم . ويظهر ان نفسها قد خفت حينئذ ونشطت عما كانت فيه أولاً فتزلا عن جواديهما لينتذا بالسير على اقدامها فوق تلك الارض الجديدة . وكان سرورها بالمشي في تلك الساعة على تلك الارض المؤدية الى الاماكن التي تنطح السحاب ويعمها الضباب دائماً يعادل مرور الاولاد حين انصرفهم من المدرسة الى نزهة خصوصيه

وبعد ربع ساعة كثرت العقبات في الطريق فعاد كليم وسليم الى جواديهما فنبههما جرجس ان ينحرفا على ظهر الجواد قليلاً الى امام في عقبة الصعود وينحرفا قليلاً الى وراه في عقبة النزول - فضحك سليم وقال هذا درس في « طريقة الركوب في العقبات » ثم اخذ الرفيقان يتحادثان لقطع الوقت بعد ان وجدا في المشي شيئاً من الراحة . ولا عجب فكما ان السكوت بعد الحركة فيه راحة كذلك الحركة بعد السكون .

فقال سليم : ماراً بك ايها الصديق في الاقامة طول العمر في هذا الدير الجميل الذي شاهدناه . هل تعرف مكاناً اجمل من هذا المكان للراحة والسعادة

فقال كليم سوءاً لك هذا يذكرني سوءاً آخر . يقول كتاب العرب ان الحوار بين « الرسل » سوءاً لولا المسيح « من افضل منا . اذا شئنا اطعمتنا وسقيتنا » فاجاب « افضل منكم من يأكل من كسب يده » فالافضل والاجمل من الاقامة في هذا الدير الدخول في العالم والاكل من كسب اليد لان خبز الاحسان خبز دنى كما قال روسو
فثار هنا جرجس وقال : ارجوك يا معلمي ان لا تتجندف على الدير والرهبان . فاننا في

طريق . واخاف على انراسي لا على نفسي . وبالامس كان جارنا ابو يعقوب سائراً قرب البلمند قادماً من المدينة (يعني طرابلس) وكان الراكب على حمارته واحداً من (السوقه) لا يحب الرهبان وكان يتهم عليهم . فبركت الحمار في الارض قرب الدير ولم تنهض حتى نذر ابو يعقوب للدير نصف الاجرة التي ياخذها من الراكب

فصاح كلیم بصاحبه اسمعت قول الرجل ؟ هذه هي المبادئ التي يعلمها للشعب الرهبان الذين نسلهم ارزاقنا ونفق على تسمينهم كالعجول

فقال سليم : هذه مسألة اخرى غير تلك فاننا لا نبحت الآن في هل هم قائمون بوظيفتهم التي وجدوا لها ولكني اسألك هل تحب المعبشة في الدير اذا كان الدير قائماً بحسب النظام الذي وضع له للغرض الحقيقي الذي يجب ان يوضع له . فاجبتني انك تفضل على هذه المعبشة معبشة الانسان الذي يأكل من كسب يده

فقال كلیم نعم هذا هو رأيي . لاني اكره الكسل والبطالة ولا استطيع انصور اناساً كالبعوض والبق والعلق والبراغيث يعلقون على جسم الهيئة ليمصوا دماءها وهم قاعدون بلا عمل بحجة انهم يخلصون انفسهم ويصلون لغيرهم

فسكت سليم برهة يفكر . ثم قال : كل من يسمع هذا الكلام يوافقك عليه لاول وهلة . ولكن لدى الناس ما يظهر انك ظلمت المعبشة الديرية بهذا الوصف الذي لا ينطبق عليها الا اذا كانت بلا عمل ارضي ينفع كما قلت . فأت « ارضي » لان « السماوي » ليس من بحثنا الآن . وعندي ان معبشة الدير لها صورتان كل واحدة منها جميلة بحد ذاتها . وبطيبي لي الآن في هذه الارض ارض الاديرة والرهبان ان ارسم معك هاتين الصورتين . واذا كان في الهواء الذي يحيط بنا اذان خفية تسمع ورامت ايقاف صوئنا فنحن باسم اله الحرية الساكن في هذه الجبال نقوى عليها . ذلك لانها لا تستطيع انكار اله الحرية اذ طالما استنجدت به في هذه الجبال . وبما ان الحرية واحدة لا تجزأ ولا تنقسم - سواء كانت في الفعل او في القول - فمن الحق والعدل ان نخضع لهذا الاله بعد ان اخضعت له غيرها

« فالصورة الاولى للمعبشة الديرية هي ما ذكرت . بشر ضعفاء من طبقات لا تقدر على كسب رزقها بنفسه في وجهها باب الرزق في العالم وترهب معارك الحياة وتنازع البقاء فتطلب مكاناً تلجئ اليه وتعيش فيه بامان . وهي للحصول على هذه المعبشة تنازل عن اشرف واثن ما لدى الانسان اريد حريته الشخصية . فتصبح آلة في يد الرئيس لا ارادة لها ولا قوة . ذلك انها تندر اول كل شيء الطاعة العمياء . ثم الفقر . ثم ترك الزواج .

وبهذه الذنور الثلاثة المشهورة تحرم الهيئة الاجتماعية قوت ضرورية . فنذر الطاعة تضع ضميرها بين يدي الرئيس وما ادراك ما هو التنازل عن الغمير . فان ذلك ينفي شخصية الانسان ويحقّر الانسانية فيه ويجعل تحت سلطة ذلك الرئيس جيشاً كثيفاً مطيعاً يؤثر اشد تأثير على الهيئة المدنية لفائدة الهيئة الدينية . وينذر الفقر يحرم الانسان نفسه وغيره ثمار تعب من خيرات الارض التي حُلل له التمتع بها . فيعيش ذليلاً وضعيفاً . وينذر العفاف يجني على امته لان الامم يهجمها تكثير النسل وهي لا تألّو جهداً في الحث عليه بالطرق المحالمة . — فالذنور الثلاثة اذا تعارض المدنية الحاضرة وتعاكسها . لا سيما وان هذه المدنية جلبت معها مبادئ جديدة مناقضة لمبادئ الهيئة الدينية كل المناقضة في كثير من شؤونها الاساسية

« والصورة الثانية للمعيشة الديرية ان ينقطع بعض البشر عن البشر لنفع رُوحى ومادى . اما النفع الروحي فلا يدركه حق الادراك الاّ كل من رمته عواصف الدهر بين معارك الحياة اليومية وراى ما في هذه المعارك من الحمجية والخشونة والفظاعة . فهناك والاسفاه يكون البشر حيوانات وحشية لا بشراً . هناك الظفر والغلبة لا يكون بالاسنقامة والفضل وشرف المبادئ . والاخلاق . فان هذه الفضائل التي هي جميلة في المجتمعات الرسمية والنوادي الاديبة تكون سبباً لضعف صاحبها في وسط تلك المعارك لا لقوته . وانما يكون الظفر والغلبة للاكثر وقاحة والاكثر ظلماً والاكثر اعتداءً والاكثر خداعاً . ولذلك قال رنان : ان الانسان لا يكون دائماً قوياً في الحياة الاّ متى كان يظهر دائماً انه كان مغشوشاً في ماصنعه من الخطاء مع انه كان غاشقاً . فاذ اتصنع النفوس الحساسة اللطيفة التي جبلها الله لا تحب الغش والظلم والاعتداء حين وجودها في هذا الوسط الهائل . هل تسلم سلاحها خافضة جنح الفضيلة امام وقاحة الرذيلة وتقع في ميدان المعارك في جملة الاسرى والقنلى ؟ ام تتحلى عنها ثوب الفضائل السماوي الذي البستها اياه اليد الجميلة الابدية لترتدي بدله بثوب الظلم والاعتداء والغش والنهب والسلب وتضع ما يصنعه غيرها ؟ وهل يجوز ان تبخل عليها الارض والسماه حينئذ بزواية صغيرة في احدى زوايا الارض لتعيش فيها بامن وسلام دون ان تضطر الى ذلك الانتحار وهذه الجنابة

« ان هذه الزاوية هي الدير . فالدير وجد اسد فراغ في نفوس فريق من البشر في الارض . وهو موجود قبل الديانة المسيحية بقرون عديدة لان افراد بوذه وانصاره في جبال الهند نوع من المعيشة الديرية . وسبق في هذه الحاجة لازمة في الامم ما دام فيها تنوس

لأنهم وجدوا في تحصيل الرزق والطمع يحكي جهاد الفاتحين . وقد احترم صاحب الشريعة الاسلامية هذه الحاجة لانه اوصى بالصوامع والرهبان خيراً . وكذلك الخلفاء الراشدون . فضلاً عن ان النكاي التي انشأت بعد ذلك في انحاء العالم الاسلامي انما هي نوع من المعيشة الديرية ايضاً . وهذا يدل على ان هذه المعيشة الاشتراكية للزهد والانتقطاع الى الله كانت حاجة من حاجات النفوس في كل الازمان

«اما النفع المادي فهو اعتبار الدير عبارة عن قوة ممدنة تستعمر الجهات التي يكون الدير قائماً فيها . والديور انما تقام عادة في القفار والجبال والقرى البعيدة . اي في الاماكن المحتاجة اشد احتياج الى تعمير واحياء . فتأمل مقدار الخير الذي يستطيع ذلك الدير صنعه في تلك الجهات اذا جعل نفسه عبارة عن شركة عظيمة يجتمع حولها اهل القرى ليشغلوا منها طريقة زراعة الارض وتعلموا صناعات جديدة ويعتمدوا عليها في جميع شؤونهم العملية اعتماداً متبادلاً للنفع بين الفريقين . فان الدير يصير في هذه الحالة عبارة عن مركز اعمال القرويين ومستشارهم في جميع اشغالهم . وكيف لا يحاولون ان ينظر ذلك الراهب الذي كان يصلي الى الله منذ مدة يأخذ معوله وفاسه ويقصد حقول القرية حيث يقابله اهلها كرسول العلم والثروة والمدنية بينهم ويسترشدون بارشاداته التي اكنسها بالدرس والمطالعة والتي لا تصل الى هؤلاء القرويين بدونه . لا ريب ان هذا الامر يساوي عندي على الاقل خروجه من الدير ويبدء الانجيل لعبادة مريض في القرية او تسلية حزين . ولست اعرف شيئاً في العالم يعادل نفعه نفع هذه الديور في التمدين والتعمير اذا سلكت باخلاص ونزاهة هذا السبيل

«هذا فيما يختص بالاشتراك الخارجي بين اهل الدير واهل القرى في تعمير الاراضي واشهر الخير والثروة حولهم . بقي هناك اشتراك آخر داخلي . وهو تعاون الافراد المجتمعين في ذلك الدير على جعل معيشتهم فيه عبارة عن مثال لارقي حكومة في الارض . فان اهل الدير قد ارتفع عنهم عند دخولهم اليه هم تحصيل الرزق والطمع والجهاد في سبيله . وذلك مما يسكن النفس وينقي قواها . ثم اضيف الى ذلك الانفراد عن معارك الحياة تجد ان النفس تصفو في ذلك الانفراد عن كدوراتها اليومية وتخلص من كل اهوائها الفاسدة التي كانت تضغط عليها وتعذبها في حالة الاجتماع . وهكذا يصبح اهل الدير عبارة عن بشر فوق البشر لانهم خرجوا عن دائرة البشر . وبصير البشر في الاجتماع ينظرون اليهم نظراً الى معلمين مرشدين موضوعين فوقهم . فكان الانسانية في هؤلاء المنفردين قد تكررت وتصفيت وصارت انسانية جديدة

لاهم لها في الارض غير صنع الخير ومساعدة الضعفاء . وهذه الحالة تسوقهم بالطبع الى الاشتغال بالعلم والأدب وهنا مسألة المسائل الجديدة بكل اهتمام . هنا مفتاح ترقية العلوم والفنون والصناعات المختلفة . اذ ماذا يصنع الرهبان في كل اوقاتهم الطويلة . وبأي شيء يقطعونها . هل من شيء يقطع به الوقت (ما عدا صنع الخير) انفس من الاشتغال بالعلم والادب . وبذلك يكمل الرهبان المنفردون في اديرتهم الجميلة نقصاً ظاهراً اليوم في هيئتنا الاجتماعية . انظر الى الحركة العلمية والادبية عندنا تجد انها مطلوبة للمال لا لذاتها . وبما ان طالبي العلم والادب يهتمون بالمال اكثر من اهتمامهم بالعلم فالعلم يبقى بيننا فاصراً . ذلك لان العلم لا يتقدم ولا يترقى الا اذا امكن المشتغلين به الانقطاع اليه انقطاعاً لا دخل لشهوة المال فيه . وهذا امر بعيد الحصول عندنا ما دام اصحاب الثروة لا يشتغلون بالعلم . فالرهبان اذاً عليهم سد هذا الفراغ لانهم قادرون على الانقطاع اليه اتم الانقطاع اذ كل حاجاتهم مضمونة عندهم . وفي وسع كل واحد منهم ان يقطع الى علم اوفن في عشرين سنة او اربعين فبترقيه اتم ترقية عندنا دون ان يحتاج شيئاً . وحينئذ تصبح الديور مصدراً لنهضة علمية جلية وبصير كل واحد منها عبارة عن اكاذمية كبيرة كل عضو من اعضائها عالم في فن وفي علم . ومجموع الاعضاء يتألف منه مجموع المعارف البشرية . والاختراعات والاكتشافات نتابع من هذه الاكاديميات الجديدة لنشر الخيرات في الامة وتحسين شؤونها . فتكون هذه الديور مثلاً « للعلم » كما كانت مثلاً (للصلاح) في ما تقدم . وهي ما عدا ذلك تكون ايضاً مثلاً (للنظام) المطلق . فان معيشتها اشترائية محضة . الكل اخوة متساوون قولاً وفعلاً . وليس احد فيهم يقول هذا لي لان كل شيء يكون بينهم مشتركاً . ولكنهم مع تساويهم هذا خاضعون لسلطة عليا خضوعاً تاماً بلا مراجعة ولا تردد لعلمهم انها لا تأمرهم الا بالخير وما فيه خير . ولذلك ترى اكبرهم واصغرهم يغفران راسيها بابتهاج وسرور تحت قدمي هذا النظام الذي انقذها واعطاها هذا الوسط الهادي النقي - وهكذا بينا تكون الدنيا قائمة قاعدة بالاضطرابات والفنن والثورات بين كل الطبقات . بينا ترى روح الاستفراد العصري الذي ضربه رنان بسوطه ضربات شديدة (١) يبذر بذور الشقاق في العالم حتى بين الابوابه والمرأة وزوجها لرغبة كل انسان في ان يعيش حراً على هواه - ترى الهدوء والنظام والخير عامة شاملة في الدير وما حوله من القرى . كانه صار قطعة من الجنان »

وهنا سكك سليم واخذ يسبح العرق عن جبينه لانه قد تحمس في اثناء وصفه . فصاح

جرجس مسروراً : عافاك عافاك يا معلمي هكذا يجب الكلام عن آباءنا الرهبان . اما كليم فانه فقهه شديداً وقال لرفيقه : كفى تحلم كفى تحلم . فهم في واد وانت في واد . ومن كلامك يظهر انك لا تعرف ما هو الغرض من الدير فمسكين انت ايها الجاهل . معنى الدير عندهم اليوم ان يقيم فيه الرهبان يكررون صلوات ما لوفه ويجمعون من الناس بحجة هذه الصلوات ما امكنهم جمعه من المال سواء كان تقوداً او اوقافاً ذات دخل عظيم . والسذج يبدلون بسخاء في هذا السبيل ابتغاءاً للشواب على ما يقولون . وهكذا بدل ان تكون هذه الدير ناشرة للثروة والخير في ما حولها من القرى صارت مصفاً للثروة لنفسها . وقد قلت ان اهل العلم عندنا مضطرون الى الافتكار بالمال قبل العلم والا تعذر عليهم الاشتغال به . فانا اخبرك ان اهل الدين - الذين وظيفتهم نذر الفقر كما ذكرت - صاروا ايضا يفكرون بالمال قبل الدين

فقال سليم : لا لست احلم بل انا انظر الى الدير كما يجب ان يكون وانت تنظر اليه كما جعلوه اليوم . وهذا اوضح دليل على ان كل شيء انما يصلح ويفسد تبعاً للطرق التي يستعمل بها والاشخاص الذين يتولون استعمالها . وهذه مسألة المسائل في كل الشؤون حتى سياسة الامم . واست اظنك تزعم ان الدير كانت في القديم (واعني القرون الاولى لا القرون المتوسطة) على حالتها الحاضرة اليوم . فانها لو كانت كذلك لما قام لها بديلتها قائمة . وانما كانت الدير يومئذ عبارة عن انقطاع حقيقي الى الله للخلاص من حياة الاجتماع التي تجر الانسان احياناً الى ما لا يهواه . ولا عتب في ذلك على اولئك المتقدمين لانهم كانوا يومئذ في الطور الذي يسمى « طور الايمان الحار » ولذلك يجب ان لا نلومهم لانقطاعهم عن الناس بقولنا انهم فعلوا ذلك مدفوعين بعامل الاثره وحب الذات فان الرغبة في معيشة الانفراد الاشتراكية كانت في طبيعة البشر خصوصاً للضعفاء منهم . ولكننا اذا كنا لا نلومهم اليوم فاننا لانحث الدير في هذا الزمن على ان تنسج على منوالهم بل نطلب ادخال تغيير على حالة الاديرة طبقاً للوصف الذي ذكرته آنفاً . فان الهيئة الاجتماعية قد تغيرت . والنفوس الدينية صارت كما يظهر من قولك لا تكتفي (بالايمان الحار) . فبناء عليه بطلت وظيفة الدير الاولى التي هي البعد عن البشر والانقطاع الى الله انقطاعاً حقيقياً وصار من الواجب ان يحل محل هذه الوظيفة وظيفة مساعدة الناس . ادياً وادبياً كما وصفت ذلك آنفاً . والا فلا معنى لوجود الدير في هذا العصر . وانا على يقين ان هذا التغيير امر سهل وكثيرون من رجال الدين يرضون به لانه يجي البلاد والعباد بثروات الاديرة والاوقاف الدينية . انما يشترط فيه وجود

رؤساء كرام يفهمونه وينبذون الاطاع جانباً . فلماذا لا يقوم اكابر الطوائف وافاضلها لمراقبة اوقاف الاديرة والاملاك الدينية مراقبة شديدة بواسطة مجالس دائمة خصوصية تنشاه لهذا الغرض لاتفاق دخلها الطائل في وجوه نافعة لمجموع الامة ؟

الفصل الثالث

عين السنديانة *

مجنون ليلي

وبقي سليم وكليم يتحادثان في هذا الموضوع حتى وصلا الى عين السنديانة وهي محطة يستريح فيها المسافرون في طريقهم الى اعالي الجبل . والمكان مؤلف من منزل اتخذته مستأجره حانوتاً يبيع فيه مواد الغذاء للمسافرين . وامامه دكة عالية قليلاً يجلس المسافرون عليها ويجانبها عين ينبع منها ماء بارد يشربه المسافرون بظما ولذة بعد تعب الطريق وحرها فنزل كليم وسليم الراحة وتناول الطعام . وبعد حين طلبا أيضاً مقلواً وجبناً وعنباً وجلسا ياكلان . واذا برجل قد دنا من احدا الفرسين ومدّ يده الى الخرج الذي كان عليه واخرج منه جريدة انكليزية . فقال كليم لرفيقه . ما شاء الله ان صاحبنا يفعل بخرجنا ما يشاء « بدون تكليف » ثم نهض ودنا من الرجل وسأله . ماذا تريد . فعبس الرجل وقال . لا اريد شيئاً ولكنني احب ان اقراء ثم انه ادار ظهره لكليم وجلس على طرف الدكة ونشر الجريدة الانكليزية وصار يقرأ فيها .

فاستغرب كليم وسليم أمر هذا الرجل . وكانت هيئته وثيابه مما يزيد الاستغراب . فانه كان في نحو الاربعين من عمره بلحية كثة وخطها الشيب وشعر وافر في رأسه يتدلى من تحت طربوشه القذر . وكان طويل القامة عريض العضل يلبس ثياباً قديمة قدرة ويمشي بجذاء ممزق . الا ان محنته كانت تدل على الهدوء واللفظ والسكينة

وبعد ان قرأ هذا الرجل بضعة اسطر في الجريدة رفع رأسه وضحك ضحكاً شديداً ثم قال : كلهن سواء . ثم النفث الى كليم وقال . اليس حقيقياً ما اقول . فقال كليم عن اي شيء نتكلم . فضحك الرجل ضحكاً اشد من ضحكته الاولى وقال وهو يهز رأسه طرباً

جننا بليلي وهي جذت بغيرنا
واخرى بنا مجنونة لا نريدها
ثم وقع على الارض واغمي عليه .

فدعر حينئذ كلیم وسليم . اما صاحب المحل فانه ركض مسرعاً وهو يضحك فنضع وجه
ذلك الرجل المسكين وصدره بالماء . ثم التفت الى سليم وكلیم وقال : لا تخافا فان هذا
الرجل مجنون . بل هو نصف مجنون . وهو يصاب بهذه النوبة مرة كل يوم او كل يومين .
فاشتد حزن سليم وكلیم على حالة الرجل حينئذ وبادرا اليه يسعفانه بالمعالجة . وبينما كانا
يفرکان يديه بايديهما ساء لا صاحب المحل وما قصته واين بلاده فانه غريب عن لبنان على
ما يظهر . فاجاب صاحب المحل . الذي سمعته انه غريب عن لبنان ويقال ان سبب جنونه
حبه فتاة رام الاقتران بها فرفضت وهجرته . وهو من ذلك الحين يطوف البلاد على قدميه
ياكل اذا وجد طعاماً ويصوم اذا لم يجد . واحياناً ينام تحت سقف منزل واحياناً تحت قبة
السماء فهو شبيه برجل تائه على وجهه في البلاد . وكل الاهالي يعرفونه

فلما سمع سليم وكلیم هذه القصة تاءثرا تاءثراً شديداً . ومما زاد تاءثرها امتزاج تعاسة
الرجل بشيء غزلي جميل لانه جُنَّ بسبب الحب كما سمعا . فقال سليم لرفيقه : حقاً اني لما
كنت اُسمع كلام صاحب المحل خيل لي وانا افرك يد هذا المريض ان يدي تمس الان
يد مجنون ليلى او غيره من عشاق العرب المشهورين . ومن العجب ان يبقی اليوم في الارض
اناس رفاق الشعور شديداً والانجذاب النفسي حتى انهم يجنون بسبب الحب مع ما هو معروف
في هذا العصر من اندفاع تيار الشهوات الحيوانية التي تقتل ذلك الشعور الدقيق

فسأل كلیم صاحب المحل وما اسم هذا الرجل التعيس . فاجاب ان الناس يسمونه مخلوف
وفي هذه البرهة اختلج مخلوف اختلاجاً شديداً وصار يصرخ صراخاً هائلاً ويخطب يديه
ورجليه . فامسكه بها الثلاثة الحاضرون لئلا يؤذي نفسه . وكان قد اجتمع عليهم بعض
من الاولاد وهم يعجبون من دنو سليم وكلیم منه لان اكثر العامة في افطار الشام يخافون
كثيراً ممن يغمى عليه ذلك الاءاء لا اعتقادهم ان فيه شيطاناً يسبب ذلك الاضطراب .
وهم يسمون المغمى عليه « واقع في الساعة »

وبعد حين ارتحت اعضاء مخلوف وتهدأ تنهداً عميقاً ثم فتح عينيه وصار يضحك لمن حوله
ضحكاً لطيفاً كضحك الاولاد . فقال له كلیم كيف حالك الان يا مسيو مخلوف . فاجاب
مخلوف : حالي كما ترى . فقال سليم : هذا امر بسيط وكثيراً ما يقع فيه الناس اما بسبب
الحراو ضيق الصدر او التعب . فجلس مخلوف حينئذ وقد ظُهر الغضب في وجهه وصاح : لم

يؤثر في الحر ولا ضيق الصدر ولا التعب وانما هذه الجريدة الملعونة . فكيف تجيز لها السماء والارض ان تتركه وتذهب . هو يحبها كما يحب الهه . هو يطرح تحت قدميها اسمه وميراثه وشرفه لتتنازل وتاخذه وترضى فقط بالابتسامة له . ومع ذلك فانها ترد هذه الحبات بقدمها ونفرت منه كالبرق وتحتفي . فما هو جزاؤها ياترى ؟ ا ليس القتل . والخنق . والحرق . والشنق . والدوس بالاندام . والنقطيع قطعة قطعة

وكان مخلوف قد بلغ به الغضب عند هذه الكلمات مبلغاً عظيماً . فحفظت عيناه وانتفخت اوداجه وصعد الدم الى راسه فكاد يخنقه وبدا الزبد على فمه كالجلل الهائج . فبال منظره سليماً وكلياً وعلماً حينئذ انه قرأ في الجريدة الانكليزية هذه الحادثة فاذا كرته حادثته . فتلا في سليم الامر رغبة في تسكينه وتعزيبه وقال . لقد نطقت بالحق فان تلك الفتاة تستحق اكثر مما ذكرت . ولكن هل قرأت نمة حادثة مس « لنهيم » التي تشير اليها . فاجاب مخلوف وهو يابث تعباً من اثر الهياج : لا . فماذا جرى لهذه الخبيثة بعد تركها حبيها . فقال سليم . لقد لقيت عقابها . فصاح مخلوف حينئذ وشر الجنون واليأس تنظاير من عينيه « هل ماتت » فارتعدت فرائص سليم وكليم لذلك الصوت الذي حكي صوت وحش جرح برصاصة . واجاب سليم . كلا كلا . فانه لا يموت احد الحبيبين اذا افترقا وخصوصاً اذا كان احدهما مظلوماً الا بعد اجتماعهما . فهبت مخلوف يتأمل قليلاً ثم قال : وكيف ذلك . فقال سليم روى فرفور يوس عن نيقدوموس عن افلاطون عن ارسطاطاليس ان كل نفس مظلومة لحبها نفساً اخرى لا تموت اذا ثبتت في حبها وصدقت قبل ان ترى النفس المحبوبة . ولذلك فكل فتاة تهجر فتى يحبها ويثبت الفتى على حبه لها تعود اليه ذليلة من تلقاء نفسها بعد ذلك وتستغفره عن ذنبها وتطلب اليه ان يشاركها في حياتها . وهكذا جرى لمس لنهيم التي قرأت في الجريدة حادثتها . فانها عادت بعد مدة ذليلة واستنصفت خطيبتها

فهنا استوى مخلوف جاثياً على ركبتيه وابتقت عيناه برقاً غريباً وقال . واذا كان قد انقضى على غيبتهما عدة سنوات

فادرك كليم في الحال ما قام في نفس ذلك المجنون التعميس فهمس في اذن رفيقه : انك تحاول نفعه بالامل ولكنك ستضره . فاجاب سليم وهل بعد الجنون من ضرر فاني الآن اجرب طريقة لاصلاح شأنه وتسكين جهازه العصبي الى حين ولما سأله مخلوف السؤال الذي تقدم اجابه سليم بقوله : سواء كان الوقت قصيراً

او طويلاً فانها تعود رغماً عن انقها . ولكني لم اذكر لك الطريقة التي استعاد بها المستر « ارثور » حبيبته المذكورة . فانه قبل كل شيء ثبت على حبها ثبات الابطال . فكان لا يذكرها بكلمة سوء ولا يحكي قصتها لاحد . ثم كان يتظاهر بالطف والبشاشة دائماً ولا يضر احداً من الناس وينفعهم بقدر استطاعته . وكان على الخصوص يعتني بنفسه فياء كل من الغذاء ما يكفيه ولا يتعب كثيراً بالطواف في البلاد ويداري صحته ما امكنه . وبهذه الطرق صار رجلاً جميل المنظر لطيفاً محبوباً من الناس . فما لبثت حبيبته ان عادت اليه تطلب منه الصفع عن هجرها اياه .

وكان سليم يتكلم ومخلوف يفكر . وقد اخذ العرق يقطر من جبينه فدل ذلك على ان نفسه كانت حينئذ في صراع شديد مع نفسها . ولما اتى سليم على آخر كلامه انهملت دموع مخلوف على خديه . فوضع رأسه بين يديه وصار يبكي بكاءً شديداً فاغرورت حينئذ بالدمع عينا سليم وكليم . وازدادت دهشتها من ان يوجد اليوم في الارض اخلاص كاخلاص هذا العاشق المحنون التعيس .

ولما استغرق مخلوف في البكاء رام كليم تسليته من وجه آخر فقال له انت مصيب في بكائك يا مسيو مخلوف . فبارك الله في عواطفك الرقيقة وقلبك الحساس . انك ولا شك تبكي على جميع الازواج التعساء في العالم . انك تبكي على الزوج المسكين الذي يتزوج ويرزق اولاداً من زوجته ومع ذلك يرى عين امرأته ناظرة الى سواه . الى شاب اغض منه شاباً فجعل حياته حجيماً دائماً انك تبكي على الزوج الذي يتزوج اليوم ثم تموت زوجته الفتاة الرطبة الجميلة بعد سنتين تاركة على ذراعيه طفلين يصيحان دائماً « يا امه » بينا قلبه يصيح معها يا « حبيبتي » - انك تبكي الزوج الذي يموت بعد زواجه بسنتين تاركاً ارملة فتاة وصغيرين لا معين لهما غير الله . انك تبكي الزوج الذي يرى عائلته تكبر شيئاً فشيئاً - كل سنة ولد - ويرى باب رزقه ضيقاً : فهذه الاحوال الاجتماعية جديرة يا مسيو مخلوف بدموعك . واذا كنت لم تتزوج بعد فاشكر الله لانك لم تقع في احدها

ولكن يظهر ان المسكين مخلوف لم يفهم معنى هذا الكلام او كما انه لم يسمعه لاشتغاله عنه بما كان يحول حينئذ في ضميره . فلما سكت كليم تحفز للنهوض فامسك به سليم وكليم ليشاركها في الطعام فاعتذر ونهض . فحاولا اقناعه بالسفر معها الى الحدث ومنها الى الارز . فلما سمع كلمة الارز قال لهما بهيئة جدية يضحك منها من يعرف جنونه انه مسافر بعد مدة الارز للسياحة هناك وانه سيقابلها فيه . ثم تخلص منهما وودعهما باحتناء راسه وسار في سبيله

كأنما هو في حلٍّ ومرتاحٍ موكلاً بفضاء الله يذرعه

ولما غاب عن بصرهما في منعطف المكان التفت سليم الى رفيقه وقال حقاً ان حالته حالة مؤثرة . وبعد ان تناولوا الطعام واستراحا قليلاً ركبا وسارا في طريقهما مع جرجس . وكان كل واحد منهما يفكر في مخلوف . وبعد برهة دار بينهما الحديث على الطريق لان الطريق خير محرّك للحديث . فقال سليم هذه اول مرة ارى فيها محباً جُنّ من حبه . فما احسن هذه الاخلاق الدمنة اللطيفة مع الجنون . فقال كلیم اما انا فقد شاهدت مجانين عشاقاً قبل اليوم . وعندي قصة اشدّ تاثيراً من قصتنا هذه . فاني منذ سنتين زرت في طريقی مع بعض الاصحاب دير قزحيّاً حيث يعزل بعض المجانين . فلما اشرطنا على مكانهم وجدنا احدهم منفرداً عن الباقين وهو جالس حزيباً ملوي الراس فقلنا « ان كان فهذا . فوقفنا به فسلمنا عليه فردّ السلام . فقلنا له ما تجد . فانشأ يقول

الله يعلم اني كمدٌ لا استطيع ابثّ ما اجدُ نفسان لي نفس تضمّنها
بلدٌ واخرى حازها بلدٌ وارى القيامة ليس ينفعها صبر وليس يفوقها جلدٌ
واظن غائبتي كشاهدتي فكأنّما تجد الذي اجد

فقلّلت له احسنت والله . فاومأ الى شيء ليرمينا به وقال : امثلي يُقال له احسنت . فولينا عنه هاربين . فقال اساء لكم بالله الا ما رجعتن حتى انشدكم . فان احسنت قلتم لي احسنت وان اساءت قلتم لي اساءت فرجعنا ووقفنا وقلنا له قل . فانشأ يقول

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهمُ ورحلوا وسارت بالدمى الابلُ
وقلبت من خلال السجف ناظرها ترنو اليّ ودمع العين منهلُ
وودعت بينات عقده عنم ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلى من البين ما ذا حل بي وبها من نازل البين حلّ البين وارتحلوا
يا راحل العيس عرّج كي اودعهم يا راحل العيس في ترحالك الاجلُ
اني على العهد لم انتقض مودتهم يا ليت شعري بطول العهد ما فعلوا

فقلّلت له ماتوا . فصاح وقال . ماتوا ؟ وانا والله اموت . ثم ترعّب وتمتدّ فمات لساعته .

فما برحنا حتى دفناه » (١)

* ١ * ليست هذه الحادثة تصنيفاً من المؤلف فقد وردت في اخبار المجانين في العقد الزريد جزء ٣
صفحة ٢٤٥ نقلاً عن المبرز محمد بن يزيد النخعي وقد شهد بها كما قال في خروجه من بغداد الى واسط في
«دبر هرقل» الذي كانت نجس به المجانين . ولذلك وضعناها بين قوسين لانها منقولة حرفياً

فقال سليم يا العجب وهل روجه في يده حتى يطلقها حين يريد . فقال كليم هذه قصة معززة عن المجانين . وقد شهدتُ ايضاً حادثة اخرى ولكنها مضمكة . الا انها تدل ايضاً على ذكاء هذه الطبقة التي اذا طمس الجنون عقلا فانه يبقى على نباهتها واحدة ذهنها . وتفصيل الخبر انني كنت ذات يوم ماراً بقرية القلمون الاسلامية الكاثنة على شاطئ البحر تحت دبر البلمند وقلعت فرايت اجتماعاً عظيماً خارج القرية فسألت ما الخبر فعملت ان هنالك معتوهاً يضحك الاهالي منه ويجوزون له ما لا يجوزونه لسواه . وكان هذا المعتوه « يمدُّ ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) » . وكان يركب قصبه في كل جمعة يومي الاثنين والخميس . فاذا ركب في هذين اليومين فليس للمعلم على صديانه حكم ولا طاعة . فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان فيصعد تلاً وينادي باعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون . اليسوا في اعلى عليين . فيقولون نعم . قال هاتوا ابا بكر الصديق . فاخذ غلام فاجلس بين يديه . فيقول جزاك الله خيراً ابا بكر عن الرعية فقد عدلت وقت بالقسط وخانت محمداً عليه الصلاة والسلام في حسن الخلافة ووصلت جبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى اوثق عروة واحسن ثقة اذهبوا به الى اعلى عليين . ثم ينادي هاتوا عمر فاجلس بين يديه غلام فقال جزاك الله خيراً ابا حنص عن الاسلام فقد فحمت الفتوح ووسعت الفء وسلكت سبيل الصالحين وعدلت في الرعية اذهبوا به الى اعلى عليين بمحمد ابي بكر . ثم يقول هاتوا عثمان . فاتي بغلام فاجلس بين يديه فيقول له خلطت في تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم . ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه في اعلى عليين . ثم يقول هاتوا علي ابن ابي طالب . فاجلس غلام بين يديه . فيقول جزاك الله عن الامة خيراً ابا الحسن فانت الوصي وولي النبي بسطت العدل وزهدت في الدنيا واعتزلت الفء فلم تحمّش فيه بناب ولا ظفر وانت ابو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى اعلى عليين الفردوس . ثم يقول هاتوا معاوية فاجلس بين يديه صبي . فقال له انت القاتل عمار بن ياسر وخزيمه بن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندي الذي اخلقت وجهه العباد . وانت الذي جعل الخلافة ملكاً واستأثر بالفء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة وانت اول من غير سنة رسول الله ونقض احكامه وقام بالبغي اذهبوا به فاوقنوه مع الظلمة . ثم قال هاتوا يزيد . فاجلس بين يه غلام فقال له . . . انت الذي قتلت اهل الحرّة واجت

* ١ * كذلك هذا الحادث منقول عن العقد الثريد الجزء ٢ الصفحة ٢٢٩ حرفياً وهي مروية عن العنبي عن ابي عبد الرحمن بشر وقد حدثت في زمن المهدي

المدينة ثلاثة ايام وانتهكت حرم رسول الله وآويت الملحدين وبوئت باللعنة على لسان رسول الله وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت اشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
وقتل حسيناً وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الابل . اذهبوا به الى الدرك
الاسفل من النار . ولا يزال يذكر والياً بعد والٍ حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال هاتوا
عمر فاتي بغلام فاجلس بين يديه . فقال جزاك الله خيراً عن الاسلام فقد احببت العدل
بعد موته وانت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به
فالحقوه بالصدقين . ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بني العباس فسكت .
ف قيل له هذا ابو العباس امير المؤمنين . قال : فبلغ امرنا الى بني هاشم . ارفعوا حساب هؤلاء
جملة واقدفوا بهم في النار جميعاً » (١) ف قيل له وبعد : فقال اين امويو الاندلس . فرفع
اليه غلام . فقال له : ايه عبد الرحمن الداخل ذهبت تحرق خرقاً في الاسلام وتنشي خلافة
جديدة وسلطنة كبيرة لم تحسن انت وقومك الدفاع عنها . اذهبوا به الى النار . ثم قال اين
الفاطيون . فرفع اليه غلام . فقال لقد اهتم امراءكم واضعفتكم الاسلام بشقه شطرين .
خذوهم . ف قيل له وبعد : فقال بعد ماذا . ف قيل آل عثمان . فالنفت يمتة ويسرة ومد لسانه
وحك راسه وهم بالكلام . فصاح به صائح : باب السجين مفتوح . فضحك المعتوه وقال : اما بنو
عثمان فاننا نؤجل الحكم عليهم . فضحك الجميع وانصرفوا

فقال سليم حقاً ان امر هذا الرجل غريب فانه مع جنونه يصف كل امير الوصف الذي
ينطبق عليه كانه من ابصر الناس بالتاريخ . اما صاحبنا مخلوف فاني ارى من القسوة ان
تركه في هذه الحالة ولذلك عزمت على معالجته لعلي ارد عليه صوابه



الفصل الرابع

✽ المحدث ✽

«أحد أغنياء أميركا العظام فيها»

المذاهب والاديان . مريض لا اكرم منه . شهامة فروي . مرض الوطن

وطوى الفارسان بالحديث المسافة بين عين السنديانة والحديث . ولما وصلا الى هذه القرية دخلا اليها منقبضي الصدر لانهما كانا يعلمان النفس بان يشاهدا في اعالي الجبل مناظر امهى واجمل . وهذا شأن كل من يتصور شيئاً جميلاً قبل معرفته فانه فلما تكون صورته الحقيقية مساوية لصورته الخيالية خصوصاً اذا كان المتصور شديد الخيال . واشد الناس خيالاً وارفاقهم تصوراً واسلمهم ذوقاً من لا يرى في صور الموجودات - مهما كانت عظيمة نفيسة - صورة تفوق او تساوي صورتها التي ارسمت في خياله قبل ان يراها

وفي الحقيقة ان جمال الحدث لا يظهر للداخل اليها لاول مرة بل تجب الاقامة فيها يومين او ثلاثة لادراك محاسنها . فهي قرية صغيرة قائمة على قمة اكمة في جبة بشري مطلقة للهواء والنور من جهاتها الاربع . فيظهر ان الذين بنوها لم يرهبوا الزوابع والرياح والثلوج في تلك الاعالي ولذلك لم يخفوا قريتهم في ظل اكمة مرتفعة كقرية «قنات» القرية منها الى الجنوب الغربي ولا بنوها في سفح جبل كاهدن التي تقابلها في الشمال ولا في قلب وادي يحصرون في الشرق . بل هم قصدوا بها على ما يظهر مصادمة تلك العناصر الطبيعية في تلك الاعالي التي يعمدها الثلج ويغطيها الضباب نصف سنة تقريباً . وهذا ما جعل هواءها اجود الاهوية واجفها واجتذب اليها المرضى للاستشفاء فصاروا يفضلونها على سواها

ولما دخل سليم وكليم الى القرية كان اهاليها في هياج واضطراب وبعضهم يتراكمون الى منزل قائم فوق حرش صغير بجانب القرية الى الجنوب الغربي . فقال كليم يا جرجس استخبر لنا الخبر . فسأل جرجس احد الاهالي فاخبره ان بعض الاميركان يرومون استئجار بيت في القرية ولكن في الاهالي فريقاً لا يريد تأجيرهم لانهم بروتستنت يحنون الناس على ترك مذهبهم الماروني الى المذهب البروتستنتي . فضحك سليم لما علم بسبب هذا الاضطراب وقال لرقيقه : ان هذه الخلافات في المذاهب والاديان تتبعنا حتى اقاصي البلدان . ثم سأل سليم جرجس . ما رأيك يا جرجس في هذا هل يجوز لم ذلك ام لا

يجوز . فاجاب جرجس . الحق اقول لك يا معلمي ان الاهالي لا يريدون تغيير مذهبهم الذي ربي عليه اباؤهم واجدادهم وهم يقدونه بدمائهم سواء كانوا في الكورة بناجيتنا او في الجبة بهذه الجهات . فاجاب سليم مازحاً . ولكن لماذا لا تصنعون انتم في نواحي الكورة ما يصنعه اهالي الجبة من طرد الاميركان فانكم قبالتهم وقد فتحوا عندكم بضع مدارس . فاحتار جرجس في الجواب ثم قال . اهالي الكوره روم يا معلمي واهالي الجبة موارنه . فضحك سليم وكليم لانهما ادركا معنى كلام جرجس . وقال سليم انا ماروني يا جرجس وكن على ثقة انني اكره الاساءة حتى للجوس . ولكنك قد جهلت السبب الحقيقي فاعلم ان لذلك اربعة اسباب (الاول) ان اهل الجبة احرص من اهل الكورة على اسقلالهم وارسخ منهم قدماً في الدفاع عن حريتهم . وما برح اهل الجبال اشد استمساكاً بحريتهم المطلقة من اهل السهول . وهم يعتبرون مذهبهم الديني من جملة عواملهم وحاجاتهم الوطنية (والثاني) ان لرجال الدين عليهم سلطة عظمى خلافاً لرجال الدين في الكورة وذلك لما للهيئة البطريكية الدينية من النفوذ الخصوصي في سياسة الجبل (والثالث) ان فرنسا التي تحمي هذه السلطة الدينية يطيب لها ان تبعد ما امكنها كل اجنبي يزوم مخالطة الاهالي واستمالتهم وعلى الخصوص البعثات الدينية الغير الفرنسية (والرابع) ان الكورة تابعة لاسقفية طرابلس دينياً والروم والاميركان في طرابلس على شيء من الاتفاق . فكيف يستطيع اهل الكورة ان يعاندوا الاميركان ما دامت هيئتهم الدينية في طرابلس مسالمة لهم . - فقال كليم حينئذ وقد ضجر من هذا الكلام لله ما اصبرك على البحث في هذه الهنات

وفي هذا الحين وصل الجوادان الى المنزل الذي كانا يقصدانه في القرية وهو اعلى المنازل في الجنوب وآخراً . وكان اهل المنزل في النوافذ ينتظرون الضيفين ويشاهدون اضطراب الاهالي وصياحهم حول المنزل الذي تقدم ذكره

وكانت العائلة المصيفة في هذا المنزل عائلة صديق لسليم وكليم يدعى الخواجا امين وكان مريضاً وهي مؤلفة من امين المريض واب له في السبعين من العمر وام في نحو الستين . وكان امين مريضاً بعلقة الصدر المشهورة التي كثرت في سوريا ولبنان في هذا الزمان وهو شاب في الخامسة والعشرين من العمر انقضى عليه ثلاث سنوات بهذه العلة فلم ينجع بها دواء ولم يبق لها علاج عند الاطباء غير الإقامة في الهواء النقي الجاف في اعالي الجبال . وكان امين وحيد والديه الشيخين وقبلة آملها ولكن المرض لا يعرف رحمة ولا يرعى حرمة . وكان ابواه في يأس شديد من حالته يكيان الليل والنهار على وحيدها الشاب الذاهب عنهما تاركاً

اياها في آخر العمر فريدين وحيدين في هذه الحياة . الا انهما مع حزنهما المتصل في السر كانا يظهران امام المريض كل سرور وبشاشة . وكذلك كان المريض امامهما . فانه كان عالماً بعلته التي كانت تجره الى الموت شيئاً فشيئاً ولكنه كان يحتملها بلا شجر ولا شكوى لئلا يزيد في عذاب الشقيين اللذين كانا يعتنيان به . ولم ير احد قط صبراً على مرض كهبر هذا المريض الكريم ومريضه الشقيين

ولما دخل سليم وكليم عليه كان امين ممدداً في سريره لا يقوى على النهوض . فابتسم لهما مسلماً . اما هما فلم يقنعا بهذا الابتسام بل تقدمتا منه ليصالحاه بهز اليد . فلما رآهما يمدان يديهما نحوه سحب يده واخفاها تحت اللحاف وقال لهما بدمع في عينيه : لا نتعباني بالسلام عليكما فاني في غاية الضعف . فنفرت الدموع حالاً الى عيني سليم وكليم لعلهما ان ذلك المريض العزيز لم يخف يده الا فراراً من ان يعديهما من دائه . فيا ايها المرضى الذين يشكون من فرار الناس منهم خوافاً من العدوى . ويا ايها المصابون بامراض مزمنة يقضون اوقاتهم بالنصير والتألم والتحسر : تعملوا هذا الشعور اللطيف والصبر الجميل من هذا المريض الكريم .

وما جلس كليم وسليم يستريحان بعد تعب الطريق حتى اشتدت الضوضاء في القرية وعلا الصياح فهرعا كلاهما الى النافذة واطلا منها ثم قال كليم لامين : لم نفهم جيداً سبب هذا الاضطراب . واذا بصاحب المنزل داخل . فساء له امين كيف انتهت المسألة يا ابا مرعب . فقال ابو مرعب حقاً انهم تجاوزوا الحدود . وقد عزمت ان اذهب وادعو اولئك الضيوف الى منزلي هذا وادعهم يقيمون في الجانب الآخر فما قولكم . فقال له امين احسنت يا ابا مرعب وهكذا فلتكن الشهامة . فقال ولكنني اريد ترجماناً بيني وبين الخوارج فهب سليم وكليم وقالوا نحن نرافقك

وبعد خمس دقائق وصل ابو مرعب مع سليم وكليم الى المنزل الذي كان النزاع عليه فوجدوا حوله نحو عشرين رجلاً من اهل القرية وبضع نساء وعدة اولاد وامام المنزل ثلاثة بغال عليها حوائج السفر وبجانبها ثلاثة من الاميركان وترجمان وخادم وكان ابو مرعب في نحو الخمسين من العمر وهو رجل كبير الجسم كثير السمى قوي العزم لا يهاب الموت اذا تمثل له في شخص انسان . وكان مشهوراً عنه انه حارب مع يوسف بك كرم وكان من اشد اعوانه حتى ان يوسف بك سماه « كلة مدفع » اشارة الى استدارة جسمه وقوته . فلما وصل ابو مرعب الى التجهيزين دخل بينهم مع رفيقه واستفتحهم منهم عن سبب الاضطراب والصياح . فعلم منهم ان ذلك الجمهور كان مقسوماً قسمين ففريق كان

يقول ليس من آداب الضيافة ان نمنع الاجانب من الاقامة في قريتنا والا سبنا الناس حتى اهل القرى المجاورة . وكان في هذا الفريق صاحب المنزل نفسه . وفريق آخر كان يقول : نحن لا نبعد هؤلاء الضيوف لانهم بروتستنت فقط بل لان فيهم رجلاً مسلواً اذ تخاف على قريتنا من العدوى

فرجع حينئذ ابو مرعب صوته وقال مخاطباً الفريق الذي كان يقاوم : يا شباب هل هذا المنزل منزلكم . فاجابوا كلا . فقال وهل لصاحبه الحق في اقفاله او هدمه او تلعب القرد فيه ام لا . فاجاب احدهم وكان اجراءهم . نعم له الحق في ذلك ولكنه ليس له الحق في ان يضع فيه شيئاً يضر باهل القرية كلهم . فقال ابو مرعب وقد بدا الغضب في وجهه . وما هو هذا الشيء يا ابن طنوس . فقال « المرض » (١) فصاح به الشهم ابو مرعب : هل انت بدون دين يا ابن طنوس حتى تضطهد وتطرد المرضى والضعفاء الذين اوصت ديانتنا بمساعدتهم وزيارتهم . ولماذا لم تطرد القرية اباك لما مات منذ سنتين بعلة الجذام

فسكت ابن طنوس ولكن شاباً بجانبه اجاب : هل الغريب كالقريب يا ابا مرعب . فقال ابو مرعب عافاك الله يا ابن سر كيس فانك نطق بالحق . فانت اذاً تريدون اضطهاد هؤلاء الضيوف لانهم اجانب وبرتستنت لا لحفظ صحة القرية . فانا اخبركم اني الان آخذهم الى بيتي وكل من تحدثه نفسه بمنعني فليتبني

ثم اندفع ابو مرعب الى البغال فاخذ باحدها ومشى في المقدمة يتبعه المسافرون وبجانبه كلیم وسليم يعجبان من كرم اخلاق هذا القروي

اما المسافرون الاميركان فانهم كانوا في اثناء ذلك يضحكون وقد افهمهم ترجمانهم كل ما جرى فاجابوا يس يس اي انهم رضوا بالاقامة في منزل ابي مرعب . الا انهم لم يشكروا على ذلك شكراً خصوصاً لانهم لم يعرفوا قيمة العمل الذي عمله معهم ذلك الرجل الكريم

ولما استقر بهم المقام في بيت ابي مرعب نادى سليم وكلیم ترجمانهم وكان من ترجمة بيروت قدم معهم لهذا الغرض . وبعد ان تعرفوا به سألوه عن رفاقه وقصتهم فاخبرهم ان هؤلاء الثلاثة الاميركان هم من حواشي اميركي كبير قادم للسياحة في جهات الارز . فسأله سليم وما اسمه فاجاب الترجمان . اسمه « مستر كلدن » فصاح سليم مستر كلدن احد اغنياء اميركا العظام . فقال الترجمان نعم فان زوجته مريضة وقد حضر معها للسياحة

في اعالي لبنان . وقد اشار عليهم اطباء بيروت ان يتخذوا الحدث محطة لهم اذا عجبتم لان هوائها اجف الاهويه ومنها يزورون كل الاماكن الجميلة التي بجوارها . وهذا ما جعلنا نتقدمهم وننتظرهم

فقال كلیم اذا لستم مرسلين اميركبين كما ظن اهل القرية . فضحك الترجمان وقال كلا . فقال كلیم ومن من رفاقك المصاب بداء الصدر . فضحك الترجمان ايضاً وقال لا اعرف احداً مصدوراً بينهم ولكن لون احدهم ضارب الى الاصفرار فحسبوه مصاباً او انه قد ادعوا ذلك تاءييداً لحجتهم . فضحك سليم وقال لا باءس نحن نحمد هذه الصدفة التي جعلتهم قريبين منا لاننا سنتعرف بالمستر «كلدن» ولا شك . فقال الترجمان وهل تجبون التعرف برجال بطانته . فاجاب سليم . ذلك ما نتمناه

وفي المساء زار سليم وكلیم المسافرين الاميركان فاحسنوا استقبالهم وقد سروا لمصادفتهم ادبيين مطلعين بمحادثاتهم بلغتهم حديثاً مفيداً عن المكان السكان . وفي اثناء الحديث سأل سليم احدهم : بلغنا من الترجمان ان مسز «كلدن» مريضة وهذا سبب سياحتها مع زوجها المكرم ولكن ما مرضها . فضحك المخاطب واجاب «مرض الوطن» فاستغرب سليم وكلیم ذلك فقال صاحبهما : نعم انا اخبركم الان شيئاً جديداً وهو يسركم ولا شك . فان مسز كلدن اصلها من بر الشام . ولم تنفك عن الاشتياق الى وطنها الاول . فجاء بها المستر كلدن في هذا العام لعل صحتها تعود اليها في هذه السياحة التي هي متعبة وان كانت جميلة

الفصل الخامس

❖ قصة مجنون ليلى ❖

وهل اخطات حبيبته ام اصابته في سفرها

وفي ذلك الليل نام كلیم وسليم نوم الهناء بعد تعب السفر . ونهضا في صباح اليوم التالي نشيطين مسرورين . الا انها شعرا قبل شروق الشمس بشيء من البرودة لم يتعوداه في اغسطس لقياسهما الجبل على السهل . لكن لما طلعت الشمس وما زجت ذرات نورها الحار ذرات الهواء البارد شعرا بارتياح شديد لم يشعرا بمثله في حياتهما كلها . ومنذ هذه الساعة بدأت الحدث تكون جميلة في عيونها

ولما تعالت الشمس فوق المشرق واشتدت حرارتها قليلاً انتبه امين من النوم واوعز الى ابويه ان يستعدا للذهاب الى حرش الصنوبر القريب من القرية ليتناولوا طعام الصباح هناك مع ضيفيهما . فبعد نصف ساعة سار كلیم وسليم نحو الحرش وركب امين حملاً لانه كان عاجزاً عن المشي لضعفه وسار ابواه ورائه . والمسافة بين القرية والحرش نحو ٤ او ٥ دقائق . وهذا الحرش قائم بين القرية القديمة وبضعة منازل جديدة بنيت ورائه الى الجنوب وهو مغروس فوق اودية مختلفة تنفرج من الحدث الى السهل فيرى من ورائه بحر الكوره والبترون وما ورائه من الانق .

جلس الرفاق هناك في اجل مجلس وتناولوا طعام الصباح . وقد جعل امين مجلسه بعيداً من مجلس صديقيه وفصل طعامه عن طعامهما . فكان هذا الشعور اللطيف منه يزيد صديقيه رغبة في محو ذلك الاثر من نفسه . ولكن والاسفاه ما الفائدة من محو ذلك الاثر من النفس ما دام بادياً في الوجه . فان اميناً كان في تلك الجمعية التي كانت تتمتع بالصحة والعافية في ذلك المكان المشرف على مناظر الجبال الجميلة والمعطر الهواء برائحة الصنوبر الطيبة - عبارة عن شبح وخيال . فان العلة الهائلة اكلت وشربت لحمه ودمه . والزال انفي قواه واخذ نار عينيه وصبغ وجهه اللطيف بلون الموت . ولم يبق من قوة تلك الروح الصبورة في ذلك الجسم النحيل الذي صار كاجسام الاولاد - سوى قوة الابتسام بشفتيه الرقيقتين تحت شاربيه الاشقرين الدقيقين اللذين صارا لا يظهران كثيراً لامتزاج لونهما بلون الوجه . فبالابتسام فقط كانت تظهر حياة امين وعواطفه وارادته . وكان يجود بالابتسام دائماً اظهارة للقوة وايناساً لجلسه . فهنا نقول مرة ثانية ايضاً : ما راى الممرضون قط مريضاً شجاعاً صبوراً مثل الفتي امين . والعجب من نفس قوية صبورة كهذه النفس كيف استطاعت العلة ان تقوى عليها وكان لا ينقص عيش سليم وكلیم شيء في ذلك المكان الجميل سوى هذه الانكار التي كانت تتردد عليهما . ورغبة في طردها وتسلية المربض دخلا في الحديث معه . فقال كلیم الانذهب معنا الى الارزايها الصديق . فضحك امين وقال انت ترى انني لا اقدر على الركوب من القرية الى هنا . فقال سليم . لا تبالغ فانك بخير والحمد لله وانك تستطيع الذهاب معنا الى الارز اذا أردته . ولك علينا اذا سرت معنا ان نريك « فرجة » لم نرها في حياتك . فقال امين وما هي . فقال سليم نريك مجنون ليلي . فقال امين ومن هو مجنون ليلي . فقال سليم هو رجل جن من الحب . فصاح امين : اهلك تريد بهذا الرجل المسيو مخولف . فدهش سليم وكلیم وقالوا : هل تعرفه . فقال امين هذا امر بسيط فان كل الناس هنا يعرفونه

و يعرفون قصته . فقال سليم وهل تعرفها بالتفصيل فقال نعم ولكن اين شاهدتوه
فقص عليه سليم كيف شاهدها مخولف في عين السنديانة وما جرى له وكيف وعدها
بان يقابلها في الارز . فقال امين : اظن هذا كل ما تعرفانه عنه اما انا فاني اقص عليكما
قصته من اولها الى اخرها كما سمعتهما من عارفيه واليك تفصيلها

ان اسم مخولف الاصلي (يعقوب درمان) وهو شاب اديب من بلدة صور وكان منذ
عشر سنوات مكباً على الدرس استعداداً لفن المحاماة . فبينما كان ذات يوم يطالع بعض
دروسه على شاطئ البحر واذا به يسمع صراخاً وعويلاً فركض فابصر خادمة تنادي على
سيدة لها بين الامواج تكاد تغرق فالتقى نفسه حالاً باثوابه في البحر وانقذ السيدة . وكانت
هذه السيدة فتاة في نحو الثامنة عشرة من العمر وهي كريمة تاجر كبير في صور . وقد رامت
الانتحار غرقاً لاسباب مجهولة . فلما انقذها يعقوب ارسلها الى بيتها وكانت مغشياً عليها .
فكاد ابوها يموت من حزنه ولكن الحياة عادت اليها . ومنذ ذلك اليوم احبها يعقوب درمان
حُباً شديداً يقرب من العبادة ومالت الفتاة اليه لانه انقذ حياتها . لكن الافدار عاكستهما
بعد ذلك . فان اباهما على ما يقال توفي في ذلك العام وقد خسر جميع امواله وانحطت كرامته
بين قومه بعد ان كان عزيزاً بينهم وبذلك بقيت ابنته وحدها اذ لم يكن في البيت غيرها
لوفاة امها . وكان يعقوب درمان فقير الحال ايضاً . فرائت الفتاة انها اذ اقترنت به ازدادت سوء
حال على سوء حال . وكانت عزيزة النفس شديدة الانفة لانها نشأت في الترف والغنى والدلال
فكرهت ان تقيم ذليلة فقيرة في بلدة كانت فيها العزيزة المبجلة . فغافلت حبيلها يعقوب وفرت
مسافرة مع احدى البواخر التي تمر على صيدا وتركت له ورقة تقول له فيها « اسني واسني
بعد الآن » ويظهر ان دماغ يعقوب ضعيف من فطرته فلم يقو على تحمل هذه الصدمة فجنى
من يومها

فقال سليم ولكن كيف سافرت الفتاة وحدها الى بلاد لا تعرفها ؟ فاجاب امين لآل
عن ذلك فانها نشأت في مدارس الاميركان وانت تعلم انهم يربون البنات في مدارسهم على
الجرأة والافدام والاستقلال . وهو امر احياناً يكون نافعاً و احياناً يكون ضاراً
فضحك كلیم وقال لا ريب اننا اذا رأينا نحن في هذه الحادثة نافعاً فان الخواجه مخولف
يراه مضرراً جداً لانه فقد به حبيته وعقله

فقال كلیم ولكن عندي ان الفتاة لم تخطئ اذ لا اصعب من معيشة الانسان محتاجاً
الى الناس في بلدة كان فيها من قبل غنياً عنهم . فان دناءة الشامتين ولوم المنقمين ووفاحة

حديثي النعمة الذين يحلون محل ذلك الانسان بعد سقوطه امور لا تحتملها النفوس فقال امين بهدوء ورزاقه : ما للانسان وكلام الناس انما عليه ان يعيش بهدوء مستورا واذا كان في الناس قوم « اردياء » يشتمون وينقمون ففهم قوم « طيبون » يؤانسون ويعززون . فقد كان على الفتاة ان تبقى ولا تسافر بهذه الصورة الشنيعة .

فقال كليم ضاحكاً : لو سمعتك مخلوف الآن لاعطاك طربوشه من فرحه فقال امين ضاحكاً : وما نقعي منه فان طربوشه قذر — فضحك الجميع لهذا الجواب

الفصل السادس

❖ حديث في حرش صغير ❖

التصنيف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسره واوروبا . هل يجوز للهيئة الاجتماعية عزل المرضى . السل داء الانسانية الاسود . آخر الآراء والابحاث في اسبابه وعلاجه . كرنيجي الاول

وقد طابت الاقامة لسليم وكليم في هذا الحرش الصغير فصارا في كل يوم يقصدانه مرة او مرتين للاستظلال به من حر الشمس . ولكنهما لم يكونا يجلسان في الظل ربع ساعة حتى يبردا فينمضا الى الشمس فيسختا فينمضا الى الظل وهكذا على التتابع . وكانا بصرفان الوقت هناك بالحديث ومطالعة اطياب الكتب

فبعد ان مضى عليها بضعة ايام في هذه المعيشة نظرا الى نفسيهما ذات يوم وهما في ذلك المكان فاذا بهما قد صار جسمهما ممثلكا قوة وصحة وتوردت وجنتاهما واكتسبا من هواء الجبال ثوباً زاهياً غطى ثوب الاصفرار والضعف الذي كسبتهما به المعيشة المدنية . وكانا ينظران الى نفسيهما في المرأة ولا يصدقان . فالتفت سليم الى كليم وقال : ان الذين يعيشون في السهول والمدن في الشام وغيرها يخطئون اشد خطاء اذا كانوا لا يصعدون مرة في العام الى جبال كهذه الجبال لتجديد قواهم ودماءهم . فاجاب كليم انا موافق على رأيك بعد ما شاهدته في صحي من التحسن . تالله انني احسب نفسي انني كنت ميتاً وبعثت . فاني آكل ولا اشبع . واشرب ولا اروي . وامشي ولا اتعب . واحياناً اخشى لنشاطي وخفة جسمي ان اطير في الهواء . فضحك كليم وقال : ما رأيك باصحابنا في الشام وفي مصر الذين يقصدون جبال سويسره وبلاد اوروبا في الصيف ويتركون هذه الجبال التي فيها المعيشة ارخس ما يكون .

فقال كليص من جهل شيئاً لم يحفل به . فهم يجهلون فضائل هذه الجبال . هذا عدا عن ان طريقة وعرة (١)

وفي هذا الحين وصل الى الحرش شابان . فصاح كليص . بهما : اهلاً بالخواجه فاضل والخواجه حنانيا . ثم جلس الشابان بازاء رفيقهما واخذا في الحديث معهما . وكانا من رفاق كليص وابناء وطنه وهما مصيفان في القرية .

وكان حنانيا شاباً نذلٌ هيئته على « البساطة » ولكن في الزوايا خبايا . وكان بلحية ضاربة الى الشقرة وهو كثير التمتع كلما فاه بعبارة . وكان رفيقه فاضل يكثر من مزامحته ومداعبته وكذلك كليص . وقد كان حنانيا يسر بهذه المداعبة على ما يظهر لانه لم يكن يستاه منها ولو جرحته احياناً . وكثيرون وفي جملةهم المؤلف كانوا يعتبرون ان هذا الامر ناشئ بالاكثر عن « طيبة » قلبه

اما فاضل فقد كان شاباً هادئاً يحب الجد كما يحب المزاح وقد كان في عينيه ما يدل على صفاء قلبه . وفي اساليبه وكلامه وسكوته ما يدل على انه ربي في عائلة ذات نعمة . وكان من المشهور عنه انه شديد الاخلاص والرغبة في نفع غيره فلم يكن احد يساله شيئاً في طاقته ويقعد عنه .

ولما دار الحديث بين الرفاق الاربعة قال فاضل ان رفيقنا حنانيا قد ابتاع اليوم كرمًا . فقال حليم وكيف ذلك . فقال فاضل : جرت عادته انه كلما رام ان ياكل عنباً بقصد هذه الكروم الممتدة امامنا من القرية الى حرش الارز الصغير المشرف عليها وكلما شاهد عنقوداً جميلاً جلس كالثعلب يجانبه وتناول منه انضج حبوبه واكبرها . ولا يزال يفعل ذلك حتى يشبع . ففي هذا الصباح بينما كان « يفطر » بهذه الطريقة نظره (ناطور) الكرم فصاح به واسرع اليه فاجابه صاحبنا بكل « برودة » قلب ماذا تريد . فقال له (الناطور) اخرج من الكرم . فقال له بغضب ولماذا . هل هو كرمك . قال بلا شك . فقال له صاحبنا ارني (الحجة) التي بيدك لاثبت ذلك . ولعمري ان هذه خير الطرق للشبع من العنب بدون دفع بارة واحدة .

فقال كليص اذا لا يظلم اهل القرية كثيراً ضيوفهم بمعاندتهم والرغبة في التخلص منهم

« ١ » كانت كذلك في زمن هذه القصة اما اليوم فالمركات تسير الى اعالي الهجة كما تقدم . فحسب ان يكون في هذا السلام ما يجيب الى كرام المصريين والسوريين النصيف في اعالي لبنان فوق بيروت او طرابلس بدل سويسره واوروبا

إذا كانوا كلهم « على نسق » صاحبنا حنايا

فقال حنايا انا است سلاً ولا بروتسنت ليستطيعوا طردي فاني فاعدنا على صدورهم الى ان يحولني السفر . ثم فلنترك الآن المزاج هل بلغكم عزم اهل القرية على التجهيز لاجراج المرضى من قريتهم

فقال سليم . وما قولكم في قصدهم هذا الا ترون فيه شيئاً من الحق فاجاب فاضل بجدة : عفواً عفواً . ان لاهل القرية الحق في ابعاد المرضى عنهم كان للمرضى وخصوصاً المصدورين الحق في اختيار الحدث للاقامة فيها لان هواءها اجف الاهوية والاطباء يأمرونهم بان يسكنوها . ومن الخشونة والهمجية ان يداس حق الضعفاء ارضاء للاقوياء فقال سليم فما الحيلة لارضاء الفريقين . اليس هناك يا ترى طريقة جامعة

فقال فاضل كنت افكر منذ مدة في هذا الامر حين سمعي ذلك الخبر فخلت هذه المشكلة . وذلك ان بني فوق القرية تحت الارزات التي هناك « مستشفى للمرضى » مؤلفاً من عشرين او ثلاثين غرفة جامعة لكل الشروط الصحية على نسق المستشفيات الصحية للمسؤولين في اوربا (سانتوريوم) وحينئذ يجتمع المرضى من تلقاء انفسهم في هذا المستشفى بدل ان ينتشروا في منازل القرية ويخاصموا الاهالي لاستئجارها (١)

فقال سليم لقد اصبحت فان هذا خير حل . وحينئذ يكون من حق الاهالي اجبار المرضى على الانفراد بذلك المستشفى . والا فكل مقاومة منهم تعد خشونة وقسوة اذا الارض ليست ارضهم ولا الهواء هواءهم بل هاء الله . اي انها مشتركان بين جميع البشر . واذا لم يحم احد لبناء هذا المكان الصحي فاني اؤكد ان الحدث لا يقصدها في المستقبل غير المرضى فتخسر خسارة غير قليلة

فقال سليم . نعم ان السل آفة هائلة . والناس يرهبون كما يرهبون نيران جهنم فقال حنايا ولكن من اين تنشأ هذه الآفة المهلكة التي كثرت في بلادنا . ثم اليس من دواءها فقال سليم لقد اطلعت منذ اسبوعين على آخر الابحاث والآراء في هذه الآفة ومنها يظهر ان السل يصاب به نصف البشر على الاقل . فبعضهم يشفى منه دون ان يدري به (١)

« ١ » بني هذا الرأي على المبدأ الذي يجري عليه اليوم جمهور الاطباء والشاوعين في الغرب وهو انهم ليس للهيئة الاجتماعية ان توجب على الطبيب التصريح بعلة مرضاه لتعزلهم الحكومة عن الناس الا متى بنت لهم الحكومة مستشفيات صحية مجانية يجدون فيها كل عناية

« ٢ » عرف ذلك من تشرح الجثث في مستشفى باريز

وبعض يموت . ولذلك سموه « داء الانسانية » وفي فرنسا وحدها فقط يموت به في كل عام ١٥٠ ألف شخص . اما سبب هذه الآفة فهو الافراط في كل شيء : الافراط في السكر الافراط في الزواج الافراط في التعب والهمم الافراط في السهر وموؤ المعيشة وقلة الغذاء وفساد الهواء الخ . . ويقولون انه ينتقل بالوراثة وهذا رأي ضعيف اذ جل ما نفعله الوراثة اعطاء الولد بنية ضعيفة . فاذا كان الاهل حكماء استطاعوا تقويتها وانقذوا الولد . والا سقط . فسقوطه اذا يكون لامن وراثته داء السل بل من وراثته ضعف البنية . وكان آفة السل تمثال اسود للشقاء والعذاب منصوب في ساحة تؤدى اليها كل طرق الشقاء والغلو والافراط والفساد

« اما دواء هذا الداء فبسيط جداً . وانا احب ان ينادى على السطوح على مسمع من جميع المرضى الساكنين ان داءهم قابل للشفاء خلافا لما بلغهم . بل ان شفاه اسهل من شفاه الحمى التيفوئيدية والجذري وغيرهما - لكن على شرط ان يتدارك من اول ظهوره . فقولوا للمرضى به لا تخزنوا ولا تخافوا ان داءكم بسيط اذا احسنتم مداواته . ولكن اذا اهماتموه فضي عليكم لا محالة . وان قيل كيف تحسن مداواته فالجواب لا دواء له غير شيء واحد وهو « الهواء النقي والغذاء الكافي » اما ما يقال عن العلاجات والادوية فهو كله تدجيل في تدجيل . وكثيراً ما تناول المصدرون ادوية فنفعتهم شهراً او شهرين ثم انتكسوا بعد ذلك من فعل تلك الادوية وانتهى اجلهم (١) فترك الدواء اذا هو كل الدواء . ومعرفة وقت ابتداء الداء هي السر الوحيد في الشفاء . ولا ينبغي للمساول ان يبايس من شفائه ابداً فان بعض الاطباء داوى بعض المرضى بالسل ٢٠ سنة وكانوا ينفثون الدم مع الباغهم ومع ذلك رزقوا اولاداً وعاشوا عمراً طويلاً . ولكن المساول العازب عليه ان لا يتزوج وان تزوج ولم يكن « حكيماً » غلبه داءه . اما النساء المسلولات فالحبل فقط يضرهن ضرراً شديداً ويغآب داءهن عليهن . ومن ذلك كله يظهر ان الاعتدال وحسن المعيشة في الهواء النقي الجاف في الجبال مع قليل من الرياضة الخفيفة هي الدواء الوحيد الشافي من هذا الداء

وما اتى سليم على هذا الكلام حتى نظر ابو مرعب راکضاً نحو الحرش ينهب الارض نهباً . فاشترأبت اليه الاعناق وقال كلیم خیر ان شاء الله ما وراء ابی مرعب . ولما وصل ابو مرعب صاح وهو يلهث تعباً هل بلغکم الخبر . فقالوا ماذا . فقال قد وجدنا كنزاً . فقال کلیم وما هذا الكنز . فقال ابو مرعب لاهتاً . کنز کنز عظیم . فقال کلیم فاخبرنا ما هذا

* * هذه المعلومات عن السل ماجوزة من رسالة مطولة حديثة للدكتور دارنبرج وهي من ام

ما قيل في هذا الموضوع

الكنز . فجلس ابو مرعب وقصّ عليهم ما يلي

كنت الآف هناك مع ترجمان الجماعة واذا كنت اسأله عن المستر كدن . نكدن كيف بلفظ اسمه ؟ فاجاب كلیم « كلدن » فقال تمام « كلدن » فاجابني الترجمان انه غني عظيم . تقدر ثروته بخمسين مليون ليره . واذا كنت اسأله عن اخلاقه وصفاته اخبرني خبراً غريباً . فقد قال لي ان هذا الرجل يخرج في السنة مرة من بيته في شيكاغو الى المدينة وجيوبه ممتلئة باوراق البنك . ولا يزال يوزع منها على الذين يجدهم في طريقه حتى تنفذ . فربما وزع مليون فرنك في ذلك النهار . ولذلك يسميه الناس نهار كدن . . نكدن كيف اسمه فقال سليم ضاحكاً « كلدن » فقال ابو مرعب نعم نعم « نهار كلدن » وقد اخبرني الترجمان ان الذي ابتكر هذه الطريقة وحثه عليها شاب مستخدم في محله يدعى « المستر كرنيجي » وكثيراً ما يرافقه في ذلك النهار . فما قولكم اذا جاء صاحب الملايين غداً وعلم بانني انقذت رجال حاشيته الا (يفتح يده) ويربنا جوده وكرمه .

فضحك الحاضرون وقال سايام اشير عليك يا عمي ابا مرعب ان تطلب منه ان يصنع « نهار كلدن » مرة في الحدث . فقال ابو مرعب والله هذا رأي في غاية الصواب . وسنطلب ذلك منه كلنا . ثم نهض ابو مرعب واسرع ليجتمع ببعض رفاقه من اهل القرية ويتفق معهم على هذا الطاب

فلما غاب عن اصحابنا النفث كلیم الى حنانيا وقال ماذا تصنع يا حنانيا اذا صنع المستر كلدن « نهاره » في الحدث

فاجاب فاضل عن حنانيا : اعوذ بالله . ان صاحبنا حنانيا يقطع نفسه عشرين قطعة في ذلك اليوم ليصادفه صاحب الملايين عشرين مرة . وكان حنانيا يضحك في اثناء ذلك وهو ساكت .

ولما عاد الاصحاب الاربعة من الحرش وجدوا خمسين قروياً جالسين حول ابي مرعب تحت بيته وهم يبحثون في طريقة يقعون بها المستر كلدن ان يصنع « نهاره » في الحدث . وقد اخذوا منذ تلك الساعة بلاطفون رجال حاشيته ويكرمونهم احسن اكرام . وما برحت المصالح تغير فلوب الناس في كل زمان ومكان

الفصل السابع

✽ لا تريد المرور على بيروت ✽

زوج اميركي وزوجة شرقية . المحسن الاميركي والحسن الشرقي . غلطة فتاة بيكها ضميرها .
كيف احب كلدن امرأته واقترن بها

وفي هذه الاثناء كان المستر كلدن وزوجته وابنتان لهما وحاشيتهما الكثيرة صاعدة عند دير حنطورة في الطريق الموصلة الى عين السديانة .

وكانت الابنتان في مقدمة الركب وكل واحدة منهما على جواد ووراءها امهما على جواد ايضا يلبها الألب على فرسه و بجانبه وكيل اشغاله ووراءهم الحاشية والخيام والبغال تحمل الانتقال وكان المستر كلدن كهلاً في الخمسين من العمر . وهو جميل الوجه طويل القامة احمر اللون اشقر الشعر منقذ العينين بالذكاء الاميركي المعروف وفي كل حركة من حركاته وكل كلمة من كانه شيء يدل على النشاط والحدة

اما زوجته فقد كانت في نحو الثلاثين . وكانت بيضاء الوجه كالثلج المعمم قم لبنان سوداء الشعر والعينين رشيقة القوام كعصن البان خفيفة الحركة فوق جوادها الرشيق كانها غزال على غزال

فكان هذا الزوج وزوجته يمثلان ضربَي الحسن في العالم . الحسن الاميركي الاشقر والحسن الشرقي الجامع بين اللون الابيض الناصع واللون الاسود الفاحم

والغريب ان ابنتيهما جاءتا واحدة على شكل امها وواحدة على شكل ايها . وكانت احدهما في التاسعة من العمر والاخرى في السابعة . وكانتا ثابتتين على ظهر جواديهما ثبات الفوارس . ولا عجب في ذلك لانهما ربيتا تربية اميركية

ولما حاذى الركب دير حنطورة كان المستر كلدن في حديث مع امرأته وقد تنحى عنه وكيل اشغاله . وكان يقول لها : لماذا تكرهين بيروت يا اميليا الى هذا الحد . حقاً انني صرت اخجل من قومي فيها لعدم استقبالننا اياهم فاجابت زوجته والحزن باد في وجهها : حقاً انني ندمت يا جورج على سياحتنا هذه . ففهمه المستر كلدن وقال : كيف تندمين الآن بعد ان بكيت سنتين على هذه الزيارة . وفي كل يوم كنت تتنهدين وتقولين : هل ارى بلادي مرة قبل ان اموت ؟ فقالت اميليا والدموع في عينيها . لا تمزح يا صديقي في مسألة

كهذه المسألة فان قلبي في غاية الالم . نعم كنت اشتاق في بلادنا الى رؤية البلاد التي ربيت فيها ولكني اول ما وصلت اليها تغير قلبي فعملت حينئذ انه قد كتب لي التعاسة على هذه الارض . فاني اذا قمت في بلادنا اميركا شعرت اني غريبة فيها واذا جئت بلادي الاصلية شعرت ايضا اني غريبة . فشاني شان طائر نسفت الزوابع عشه واستأصلت الشجرة التي كان ياوي اليها فلم يبق له أمل في الراحة وان وجد عشا احسن من عشه الاول وشجرة افضل من شجرته الاولى . وليس معنى كلامي هذا اني غير راضية بحالتي الحاضرة . فاني من فضلك ونعمتك في الف فضل والف نعمة . ولكن ماضي شديد الضغط على نفسي وهنا انحدرت الدموع من عيني اميليا . فصاحت بها ابنتها الاولى : عدنا الى البكاء يا ماما . اذا لم تسكتي فاني ابكي ايضا . وقال لها زوجها . الحق اقول لك يا عزيزتي انني لا أعرف سبباً لهذا الحزن واليأس . فانك تعلمين اننا صنعنا كل ما في امكاننا فلم نعاثر على اثر لايبك . وقد عرضت عليك الف مرة ان ننقم من اعدائه فكان جوابك ما الفائدة من الانتقام .

فهنا اغرقت اميليا في البكاء وقالت نعم ما الفائدة من الانتقام فانه لا يرد لي ابي . ولو عثرت على ابي فرجما كنت طاوعتك على الانتقام ارضاء له . لانه تعذب كثيراً في اثناء حياته . ومن العدل ان يعذب معذوبه وان كنت لا تحب عدلاً كهذا العدل . ولكن ماذا كان جواب الباحثين عنه في جهات البرازيل

قال لم يجدوا له اثرآ . وانت تعلمين انني نشرت منشوراً في جميع افطار الارض في الشام ومصر واوربا واميركا وآسيا وافريقيا ووعدت بدفع مليون فرنك جائزة للذي يجد « الخواجه متى حاروم » ويدلنا عليه وها قد مرّ على هذا المنشور سنوات والوف من الناس يبحثون عبثاً طمعاً في الجائزة . فاعتقدي يا حبيبتي بعد الآن ان اباك الكريم قد توفي الى رحمة الله وسبقنا الى الآخرة . لانه من المحال ان يكون حياً ولا نعاثر عليه بعد كل هذا التفتيش . ولا تنسي اننا كنّا ضيوف في هذه الارض وان وطننا الحقيقي فوق . فتمزي ولا تحزني حزن الذين لا رجاء لهم

فاطرت اميليا برهة تبكي بسكوت . ثم قالت ليس بكائي للموت بل بكائي للغلظة العظيمة التي ارتكبتها . وهذا ما يعذبني ويضغط على نفسي وضميري . فاني تركت ابي في اشد الاوقات عليه حين تحلت عنه الارض والسما وأبتعد عنه الاقربون والابعدون . فكنت اوسام عليه واجحد لهم لجميله لانني كنت افرهم اليه . وانني اخشى ان يكون قد

مات في الشينخوخة والضعف والفقر والوحدة وهو يلعنني
فهنأ رام كلدن ان يصرف فكر زوجته عن هذه التذكارات المحزنة فقال ضاحكاً : اما
انا فلا اعتبر سفرك من بلادك الى اميركا غلطة يا اميليا لانني لولا هذا السفر لما التقيت بك
واقننصتك . فاننا اشكرك لتلك الحدة التي حملتك على السفر . ولا يزال يحولني ان اتذكر
معك اليوم الذي لقيتك فيه في واشنطن . فقالت اميليا مبتسمة دعنا من هذه الذكرى .
فقال لا بل دعيني اتكلم بجماعتك . فقد خرجت في ذلك اليوم لأعمل «نهار كلدن»
ومعني المستر كرنيجي كاتم اسراري . فبعد ان ذهب نصف ما في جيوبي من الاوراق وصلت
الى الساحة القريبة من دار الحكومة فوجدتك سائرة في طريقك مع احدى بنات جنسك .
فمددت يدي اليك بورقة قيمتها خمسمائة دولار وقد فعلت في عيناك ما لا يفعله السحر .
ذلك انكم انتم الشرقيون لا تعرفون مبلغ التأثير الذي يؤثره فينا الجمال الشرقي الخاص بكم .
فكان جوابك انك رفعت يدك والطمتني على وجهي لطمعة اراتني «نجوم الظاهر» كما يقولون
في لغتك . لانك ظننت انني رجلٌ بذي يقصد اغوائك بماله . فكبر قدرك منذ ذلك
الحين في عيني واريتني بهذا الفعل جمالك الادبي بعد ان رأت في وجهك جمالك الانثوي .
وانت تعرفين التهمة . فبالله اخبريني كيف اجترأت على لطم رجل قوي مثلي قادر على
سمحك بقبضة واحدة

فقالت اميليا تعلمت ذلك من معلمي في المدرسة فانها قصت علينا يوماً ان احد الوفحين
عرض عليها في سوق نيو بورك مالا فجاوبته بالطمة على وجهه ففرّ كالمطر المطرود . فقال كلدن
حينئذ رافعاً راسه افتخاراً : هل من ينكر بعد هذا فضل مدارسنا في الشرق .
وقد سرّ المستر كلدن من اجوبة زوجته لانه قدر بذلك على صرف افكارها عن
موضوعها الاول . ولم يعد يسألهما لماذا كانت تكره الاقامة في بيروت والسفر الى
صور وصيدا

الفصل الثامن

﴿ الفلسفة والمكاري بطرس ﴾

(قصة امين)

وبينما كان كلدن وزوجته صاعدين مع حاشيتها الى الحدث كان سليم وكليم يتأهبان للسفر منها الى الارز . لان اصدقاءهما في اهدن سافروا الى الارز وبعثوا يستعجلونهما . فقال كلليم لرفيقه سنتعرف بالمستر كلدن بالارز فهل بنا نساغر لان الاقامة هناك تحت ظل الارز العظيم افضل من الاقامة هنا ولما دخل كلليم وسليم لتوديع صديقه امين ظهر الحزن في وجهه . وكان قد ازداد ضعفاً وهزالاً . فودعها وهو يقول اظن هذا الوداع هو الوداع الاخير . فقال كلليم متأثراً لم نعهد قلبك ضعيفاً ايها الصديق فعلاًم الخوف وانت منقدم الى الصحة ان شاء الله . فهز امين راسه وقال هل تظن انني اخاف الموت . كلا . فان الموت راحة لمن كان مثلي . وانما انا سَفَ لامر واحد .

قال ذلك وانحدرت الدموع من عينيه فترفق الدمع في عيني سليم وكليم وقال كلليم : ما هو هذا الشيء ؟ فقال امين : هو ان اخرج من هذه الحياة قبل ان انتقم من الظالمين ففهم كلليم مراد امين في الحال واجابه : كن على ثقة ايها الصديق انك ستشفى وتنتقم لنفسك . فان الله اعدل من ان يسمح المظلومين ويرفع الظالمين . واذا افترضنا المحال وقويت عليك علتك لعدم مداراتك نفسك فاعلم ان الظالم سيبسقط من نفسه لان كل ما يبني على الظلم فهو مهدوم . والبغي مصرعه وخيم فهز امين راسه وقال : والاسفاه انني لا ارى هذا الامر واضحاً كل الوضوح في الحوادث البشرية . — ثم انطرح على فراشه يفكر والدموع ملء عينيه . وكان منظره حينئذ كمنظر جندي سقط قتيلًا في ساحة العراك في آخر النهار

اما سليم وكليم فانهما ركبا بغلين قويتين وانحدرا من الحدث قاصدين وادي حصرون . وكانا هذه المرة ساكتين يفكران بكلام الصديق امين . فسأل سليم رفيقه هل من مانع

يمنعك من اطلاعي على مراد امين بكلامه الاخير . فقال كليم كلا ولكن ليست هذه القصة جديدة في الارض . فانها قصة كل المغلوبين والمقهورين والمظلومين فيها . انها قصة العراك الابدي الذي بين الناس وهو ما يسمونه (تنازع البقاء) فان اميناً كان من موظفي الحكومة وكان محبوباً مسموع الكلمة لذلكه وعقله . وكان على وشك الاقتران بفتاة يحبها وهي ذات دوة طائلة . وكان احد تجاركم في بيروت يطمع في دوطتها ليصلحها احوال محله التجاري المتضعضع . فوشى لدى الحكومة سرّاً بان اميناً يعاون حزب تركيا الفتاة ويراسله فعزل وسجن واثنين ولم يطلق سراحه حتى ظهر مرضه . اما الواشي فلم يتمكن من الاقتران بخبيبته لانها تركت الاثنين معاً

فقال سليم ومن هو ذلك الواشي . فقال كليم : هو « الخواجه لوقا طمعون » فقال سليم هذا تاجر اصله من صيدا لا من بيروت وقد سمعت الناس يذمنونه كثيراً لسوء اخلاقه . وكان مع الرفيقين في هذه المرة مكاره من الحدث وهو شاب قوي البنية ربعة الجسم مبدعي (بطرس) فسأل رفيقه « هل تمرّون على الديان في طريقكم . اخوات » فسأله كليم هل اليوم غبطة البطريك في مصيفه هذا . فاجاب بطرس كلا بل هو غائب . فقال كليم فلنمض اذاً في سبيلنا

وكانت يومئذ الدار البطريكية في الديان داراً يدل ظاهرها على البساطة والقدم . اما اليوم فقد اقيم هنالك قصر نفخيم على الطراز الحديث للسلطة البطريكية وكان سليماً وكليماً راما طرد الافكار السوداء التي كانت تنرود على ذهنيهما من كلام امين ووداعه فقال الثاني للاول : لقد سالنا المكاري جرجس قليلاً من فلحات الى الحدث فبماذا يسلينا بطرس . فقال سليم اسمع . ثم التفت الى بطرس وقال له يا بطرس : لماذ اتنادينا خوات . فاجاب بطرس بوجل اذا كنتم بكوات يا معلمي فارجو السماح . فقال سليم ولا بكوات . بل نحن بشر مثلك . فاذا كنا خوات فانت خواجه ايضاً لان كل البشر اخوان . فتنهد بطرس وقال : هذا في القول يا معلمي فقط . وما بعد القول من الفعل الا ترى انكم راكبون واني ماش . وهذا اول فرق بيننا . فضحك سليم وكليم وقال سليم لرفيقه حقاً ان مكارينا نبيه . ثم التفت اليه وقال . ما عنيت هذا بقولي . وانما عنيت اننا واباك متساوون لدى الحكومة ولدى الله وان كان البشر يعطون بعضنا امتيازات دون بعض . فانت لست بمديون لي بشيء سوى ما نقبض اجرته مني . وانا كذلك . فالآن انا راكب وانت ماش باختيارك وطوعك حسب الاتفاق الذي عقدناه على ان اعطيك اجرة تعبك . فلست اذاً

امتاز عنك بشيء سوى اني تعبت وحصلت مالا اقدر به على ان اريح نفسي من المشي . وبست هذه الراحة لانني افضل ان اتعب مثلك واكون بصحة كصحتك .

وكان سليم يتكلم وبطرس يظهر الدهشة والاستغراب . ثم اجاب . حقاً قلت الصواب يا معلمي . فصاح سليم رجعنا الى « معلمي » اما انا بشر مثلك . بل انت الآن معلمي لانك اقوى مني ونفعتني بيمالك اكثر مما نفعتك . فضحك بطرس وقال : حقاً قلت الصواب فيما يختص بالاجرة والركوب . ولكن قولك يا معلمي اننا كنا منساوون لدى الحكومة والله فيه نظر . فاني اصدق كل شيء الا هذا . اما المساواة عند الله فاندعها جانباً . لاننا متى وصلنا الى هناك تبقى نتكلم عنها . واما المساواة لدى الحكومة فاحب ان تدخل على سعادة القائمقام حين يصيف في الحدث (١) وترى الناس كيف يجلسون في حضرته وبعد ذلك تبقى نتكلم عن المساواة لدى الحكومة .

فقال سليم هذا ليس ببرهان لان الناس كثيراً ما يسيئون في تنفيذ الشرائع فلا تلصق الاساءة بالشرائع نفسها بل بمنفذيها .

فقال سليم لرفيقه لا بائس بهذا الحديث اذا كان لا يحدث منه ضرر . ولكني كنت اتقن ان لا تكون هذه التجربة فينا لثلاث نكون اول من يجني ثمارها .

ثم استمر الرفاق الثلاثة سائرين فقطعوا الديان وهبطوا في وادي حصرون . وكان بطرس في اثناء ذلك يفكر في كلام سليم وهو يقول في نفسه : حقاً ما اجهلنا نحن سكان القرى . صحيح . ما الفرق بيننا وبين الخواجات والبكوات والحكام . نحن ناكل كما ياكلون ونشرب كما يشربون ونعشي كما يمسون ونفكر كما يفكرون ونندفع ما علينا للحكومة كما يدفعون . فلماذا يكون كل الاكرام لهم وعلينا الخدمة والطاعة والذل . والله لما اعود الى القرية ويقول لي البك اعمل هذا اولا تعمل هذا فكل جوابي يكون اني ادير له ظهري واهز رأسي وامشي في سبيلي .

وفي هذا الحين كان الرفاق الثلاثة قد قطعوا حصرون ووصلوا الى نبع ماء على الطريق ماؤه كالفضة الجارية صفاء وثلج الذائب برودة . فصاح سليم : يا بطرس ناولنا ماء لنشرب . وكان بطرس يفكر كما تقدم في عباراته الاخيرة . فكان كل جوابه لسليم ان هز راسه وادار ظهره وسار في سبيله .

(١) كان قائمقام البنون يصيف في الحدث مع دوائر الحكومة لما تكون القائمة في غير بلد المرجوم اسعد بك كرم المشهور الذي كان يصيف في وطنه احدن

ففقّه كليّم حتى كاد يقع عن ظهر البغل وقال سليم . ففضل يا صاحبتنا ونظر نتيجة مبادئك
 اما سليم فانه غضب وصاح ببطرس قات لك ناولني ماء لا شرب . فاجاب بطرس ولما ذا
 لا تشرب انت . فقال لان كاس الماء بعيدة ولا استطيع الدنو من النبع وانا راكب . فقال
 بطرس هذا امر سهل فانزل واشرب . فقال سليم انا لا امزح واسالك للمرة الاخيرة اتناولني
 الماء ام لا . فقال بطرس وانا لا امزح لان مناولتك الماء لم تدخل في الاتفاق الذي ذكرته
 فاذا شئت الشرب فانزل واشرب

وكان كليّم في اثناء ذلك لا يزال يضعك . فرغبة في انتهاء هذه المسالة قال لبطرس .
 طبيب هذا الامر لم يدخل في الاتفاق كما ذكرت . فتاولنا الماء ونحن في مقابلة ذلك نسقيك
 » خمسينية « من عرق بشري

فضحك بطرس حينئذ وقال الآن تم الاتفاق . ثم دنا وناولها الماء
 وبعد الشرب قال كليّم لرفيقه وهما سائران ارايت نتيجة الحرية والاستقلال والمساواة
 والاخاء اذا يذرت بذورها قبل اوانها بين طبقات لم تستعد لها
 فاجاب سليم ولكن مع غضي من صنعه افضل هذه الحرية التي هي في غير محلها على
 العبودية والذل والموت المعنوي . ولولاني كنت شديد الظاء وغلبني غضي لما ملته بل كنت
 اقول له : برافوا يواجه بطرس فان امثولتنا اثرت فيك في ساعة واحدة
 فقال كليّم ولكن هنا مذهبان واحد معك وواحد عليك
 فقال كليّم ولكن مذهبي هو المذهب الصحيح الابدّي الذي انتصر مع الثورة الفرنسية .
 هو مذهب الحياة والنور والحرية للطبقات الضعيفة التي تثن تحت نير الطبقات القوية

الفصل التاسع

✽ ارز لبنان ✽

وصف الارز . اشجاره . جماله . عناية الحكومة به . زيارة العطاء والامراء له من اوربا
 واميركا واهال جيرانه له . هل هو الحرش الذي قطع منه الملك سليمان
 خشباً لبناء هيكله في القدس

ثم جدّ الرفاق الثلاثة في السير فبلغوا بشري فابتاع منها بطرس » خمسينية عرق « على
 حساب رفيقيه حسب الوعد ثم تسلقوا منها العقبة المؤدية الى جبل الارز العظيم

ولما قطعوا تلك العقبات الطويلة التي بلي بعضها بعضاً وصعدوا الى مساواة الحرش بان لهم الارز من بعيد . فاشرق وجه سليم وكليم ابتهاجاً وسروراً وصارا ينظران الى الارض التي تظاها حوافر بغليهما نظرها الى اشياء مقدسة

وكان وصول سليم وكليم الى الارز عند غروب الشمس . وكانت الطيور تتوافد من جميع جهات تلك الجبال الجرداء الى اشجار الارز لتبيت فيها . وكانت الغربان اشدها ظهوراً . فكان يُسمع صوتها الناعب من حين الى حين كأنه صوت الزمان ينعي الاجيال والقرون الماضية

والارز عبارة عن حرش متسع عظيم قائم على آكام متعددة تحيط به نصف دائرة من الجبال الشاخخة واشجاره شديدة الاشتباك حتى ان الشمس تكاد لا تعرف ارضه . وفي هذه الاشجار ما هو صغير وفيها ما هو ضخيم كبير سامق الى السماء وبكاد عشرة رجال لا يحيطون بجذعه اذا مدوا اذرعيهم حوله . وهم يقولون ان هذه الاشجار الضخمة الهائلة ترتقي الى زمن الملك سليمان الذي بنى منها هيكله المشهور في اورشليم وزمن افسس التي بنيت من خشبها بعض اماكنها اليونانية القديمة . ولكن هذا زعم لا يؤيده دليل بل ان علم النبات يقضه . الا انه من المحتمل ان اولئك المتقدمين قطعوا اخشاباً من هذا الحرش وقامت الاشجار الحاضرة على آثار الاشجار المقطوعة او اشجار تلتها

اما صفة الارز فهي كما تراه في الرسم . فانه عبارة عن جذع شامخ يتوارى عنك رأسه في الفضاء لعلوه . ومن هذا الجرع تنفرع اغصان بنحط افقي كما ترى في الرسم . وبلغ طول هذه الاغصان احياناً عدة امتار . وهي تحمل اكوازاً خضراء حشوية كروؤوس الصنوبر بعضها ذكور وبعضها اناث ثم تنقلب عند البلوغ فتصير حمراء . ولها رائحة طيبة ترتاح اليها النفس فتعطر بطيها وبشر اشجارها هواء الارز النقي . ويكون في عقبها بزرتان لحفظ نوعها متى بلغت وسقطت على الارض . والارز عدة فصائل وانواع وهو ينمو في جبال سوريا وجبل حملايا في الهند وجبل الاطلس في افريقيه وجبل طورس في آسيا وفي غيرها من الجبال . ولكن ارز لبنان اشهرها كلها

والمقرر ان القطع في الحرش ممنوع اليوم قطعياً بامر من حكومة الجبل حتى ان الزائر لا يستطيع ان يقصف غصناً لياً خذه تذكراً من الارز الا في السر او يبلغ يدفعه الى الحارس . ولقد احسنت الحكومة في هذا المنع حفظاً لهذا الاثر الجليل . ومما يذكر لها بالشكر ايضاً انها سوّرت الحرش كله بسور من الحجارة والطير لمنع الدواب من الدخول اليه .

ولكنها مع ذلك تدخله . وهذا السور صار اليوم متهماً وهو لا يخفاه يتسلقه الولد بسهولة لانه لا يعلو عن متر واحد

ومن الاسف ان الحكومة لا تزرع في هذا الحرش الكبير ارزاً جديداً ليقوم مقام الارز القديم متى شاخ وانقرض في القرون القادمة . والاشجار التي تنبت من تلقاء نفسها في الحرش قليلة جداً . ولكن في جهات اخرى فوق الحدث في وادي الى الجنوب وفي اماكن اخرى في اعالي لبنان احراشاً واسعة مؤلفة من ارز صغير آخذ في النمو . فلا ريب انه سيقوم مقام الارز الكبير في القرون القادمة . وربما وقف سائح بعد ٥٠٠ او ٨٠٠ سنة في الحرش الذي وراء الحدث في الوادي وصار يتساءل ويستنطق التوراة وكتب التاريخ ليعلم هل قطع سليمان الخشب لهيكله من ذلك الحرش ام من سواه

وسواء قطع سليمان الخشب من الحرش الكبير او من سواه فان السياح الافرنج من امراء وعظماء وعلماء يتقاطرون على هذا الحرش ويوزرونه باحترام عظيم . والغريب انهم يفدون لهذا الغرض من اقصى الاقطار مع ان جيران الارز في الشام ومصر لا يعرفونه . ورجال الدين منهم يصادون هناك بخشوع زائد ويعتبرون اجر الصلاة فيه مضاعفاً . وجميعهم ينقشون اسماءهم او بعض حروفها على جذوع اشجاره فغطوا بها كثيراً منها حتى صدر الامر بمنع ذلك حفظاً للاشجار . والزائر يشاهد احداها مكشوفة القشرة بفأس او سكين على قدر شبر او اكثر وفيها اسم منقوش . فلا نعلم كيف ان ذلك القاسي البارد ناقش هذا الاسم طواعته يده على طعن تلك الارزة المقدسة الجميلة هذه الطعنة في صدرها

الفصل العاشر

ليلة باردة ثمت اشجاره

(بلا فراش ولا غطاء)

فدخل سليم وكليم الى دائرة الارز مشياً على الاقدام وتبعهما بطرس مع بغليه فربطهما وراء غرفة صغيرة مبنية على انفراد بازاء الكنيسة القديمة القائمة في شمالي الارز وقد افنق سليم وكليم اصحابها الذين بعثوا في طلبهما فلم يجدا لهم اثرًا فاستغروا بذلك . وكان في الغرفة التي اشرنا اليها عائلة مؤلفة من امرأتين وبضعة اولاد ولم يكن في الارز

غيرهم . فسألاها فاجابتهما ان قومًا كانوا نازلين في الارز قوضوا خيامهم في ذلك الصباح وساروا في جهة الجنوب ليقبضوا هناك يومًا او يومين

فاستاء الرفيقان من ذلك لانهما لم يحضرا غطاء ولا فراشًا . ولكنهما تذكرتا الكنيسة لان المسافرين ينامون فيها . فقبل لهما ان امين مفاتيحها غائب ولا يعود الا في اليوم التالي وكان قد أمسى المساء وهبط الظلام وبرد الهواء بردًا قارسًا . فصار كلهم وسليم يضحكان من نفسيهما لانهما سيضطرا الى النوم على اديم الارض تحت السماء (١) ولكن جوعهما ذكرهما بالطعام قبل الرقاد . فاخترتا ارزة عظيمة قائمة بجانب الغرفة المذكورة الى الشمال فبسطا تحت جذعها بساطًا كان معهما ونشأوا لطعامهما من الخرج وجلسا . فجلس بطرس بجانبهما باء كل معهما . وكانت السيدتان صاحبتى ذوق فاحضرت احدهما قشًا وحطبًا واشعلته بجانب سليم وكليم لطرد البرد والظلام . اما بطرس ففي اثناء ذلك كان يقول للسيدتين وفه ممثلي بالطعام « عافاكم عافاكم » كان السيدة صنعت ذلك اكرامًا له

ولما حان وقت الرقاد بسط الرفيقان بساطهما بجانب جذع الارزة لينقيا به الريح الباردة التي كانت تهب من المشرق واردة عن قمم رأس القضيبي وفهم الميزاب . ووضع كل واحد منهما احد كيسي الخرج تحت راسه وادار ظهره لرفيقه وتغطيا بغطاء خفيف احضراه معهما اتفاقًا . ويظهر ان غربان الارز كانت تنظر اليهما حينئذ من اعلى الاشجار لان اثنين منهما اخذا ينعقان . فخيل للرفيقتين ان صوتهما عبارة عن قهقهة وضحك من نومهما على هذا الفراش ولما درت السيدتان ان الرفيقتين سينامان تلك « النومة المكربة » خرجتا اليهما ودعتاهما الى النوم في الغرفة خوفًا عليهما من البرد . فامتنع سليم وكليم من ذلك تأدبًا اذ لم يكن مع السيدتين رجال . ولكن صاحبتا بطرس دبَّ حينئذ في جسمه برد شديد . وصار لا يطبق النوم في الخلاء . فقال انا اقبل دعوتكما بشكر . ثم حمل غطاءه واتجه نحو الغرفة . فصاح به سليم وكليم يا بطرس كيف تترك بغليك خارجًا الا تتحاف عليهما من ذئب اوضع . فاجاب لا فانكما انما على مقربة منهما

فقال سليم حينئذ : كثر الله خيرك . اما كليم فانه كان يقهقه ويقول لرفيقه « ضبط اذا كنت تقدر على مبادئ الديموقراطية التي تدعو اليها » وهكذا نام بطرس في الغرفة مع السيدتين وبقي سليم وكليم في البرد والظلام يحرسان نفسيهما والبغليين

وفي الحقيقة ان الرفيقين لم يناما تلك الليلة نومًا هنيئًا . فكنا كالاسد ينامان بعين
ويسهران بعين خوفًا من الطوارئ . وكان ذلك السكون التام في هدوء الليل وسط جبال
شاهقة واحراش متسعة وجنات مقفرة مما يجعل نفس اقوى الاقوياء في حذر دائم سواء كان
ذلك من المصوص او الوحوش

ويظهر ان خوف سليم وكليم كان في محله فانه لم تدخل الساعة الثالثة بعد نصف الليل
حتى انتبه سليم على صوت قرعة رفيع راءسه قليلاً فلم ير شيئاً ولكنه سمع صوتاً كصوت
كلب يقضم عظمة . ثم تلا ذلك صوت البغلين يرفسان ويحفلان وقد قطعاً قيادها واخذوا
يهيمان بين اشجار الارز . فحينئذ انتبه بطرس وخرج من الغرفة وصاح " ذئب ذئب "
فهب الرفيقان مذعورين اذ لم يكن في يدهما سلاح حتى ولا سكين تخرج . ولكن من حسن
الحظ كان لدى السيدتين بندقيتان لرجلهما الذي كان قد سافر الى بشري في ذلك اليوم .
فتسلح سليم وكليم بالبندقيتين . وبذلك عادت اليهما قوة الابطال

ولما لم ير للذئب اثر قضى الجماعة بقية الليل في السهر خوفاً من غدره . فلم يلبث
الصباح ان ذرقه وهبت نسائمه ابرد من الثلج . وانتبهت الطيور في اعالي الاشجار تستقبل
الفجر باصواتها المختلفة . فقال سليم لرفيقه لا اعلم كيف تطاع علينا شمس الغد فاننا تعبنا وسهرنا
وغدا في البرد . ولكن لما اصبح الصباح وتعارفت الوجوه هب سليم وكليم يمشيان بقوة ونشاط
فوق العادة . فاستغربا ذلك . وعجبا من جودة ذلك الهواء النقي الخارج من يد الله كما صنعه
الله يجدد القوى ويملاء النفس نشاطاً وارتياحاً

وبعد ان غسل الرفيقان وجيههما بما يسقى من نبع قريب من الارز قال سليم : ان
هذا الذئب قد اخافنا في الليل وانا من المغرمين بالصيد . فلم بنا نأخذ البندقيتين وشيئاً
من الرصاص ونصعد الى الجبال التي فوقنا فاننا نصاد فيها ونفترج بمشاهدتها وزوض اجسامنا
باجتيازها ونغذى من لبان المواشي التي ترعى بها . واذا وجدنا الذئب في طريقنا فالويل له
فطأعه كليم على ذلك فاخذوا البندقيتين وسارا وقد تركا بطرس في الارز في احسن
رفقة على ان يعودا في المساء . وكان اتجاهاهما الى جبهة الشرق نحو راس القضيبي وراء
الارز وهو جبل مشرف عليه وعلاه نحو ٩ آلاف متر عن سطح البحر . وهو مقابل " لقم الميزاب "
الذي يعلوه الف قدم

الفصل الحادي عشر

✽ الوحش الوحش الوحش ✽

ملك راس الفضيض وفم الميزاب

وقطع الرفيقان المسافة بين الارز وسفح الجبل يصطادان ما يجدهانه فاصابا غرابين وثعلباً .
وبينما كانا واقفين على احد الرعاة يحلب لهما لبناً واذا بالراعي صفر صغيراً شديداً . فهبت كلابه
كالبرق الخاطف . ثم اشار الراعي الى سفح الجبل وقال انظرتم ذلك الذئب
فابصر الرفيقان حينئذ شيئاً بعيداً هيئته كهيئة الكلب يشب من صخرة الى صخرة
في سفح الجبل

فشرب سليم وكليم لبن الشاة على عجل ثم اتجها نحو الذئب
وكانت الشمس قد ظهرت حينئذ من وراء تلك الجبال العالية فصار الجبل يدخن من
اثر حرارتها . فضحك كليم وقال اصعد فهذا طور سيناء يعممه الضباب . فقال سليم لا
تشغلنا بالمزاح الآن والا فاتنا الذئب . ويظهر ان الذئب قد رآهما لانه اخذ يعدو عدواً سريعاً
موغلاً في الجبل . فجد سليم وكليم في طلبه وهو تارة يظهر وطوراً يغيب . واستمر على ذلك
نحو نصف ساعة حتى كادت قواهما . وكان الذئب يتلفت ثم يجده في العدو فيخيل لهما حين
لفتته انه يضحك منهما ويقول لهما (اراه غباري ثم قال له الحق)

ولكن هذا الطراد لم يستمر وقتاً طويلاً . فان الضباب كان قد تكاثف على الجبال
المجاورة وصارت الريح تسفيه نحو سليم وكليم . فلم يمض ربع ساعة حتى اقبل عليهما مسرعاً .
فقال سليم هذه مصيبة ما كانت في الحسبان . وفي الحقيقة انه مصاب ذو شائن . فان
الضباب غطى الجبل واحاط بهما من كل جانب فلم يعودا يعرفان الطريق (١) وكانا قد قطعوا
ثلاثي الجبل والذئب امامهما ولا تحلو تلك الاماكن المقفرة من غيره من الوحوش . فصارا
يسيران رجوعاً على غير هدى راضيين من الغنيمة بالاياب سالمين من مفاجئة الوحوش والذئاب
لانهما كانا لا ينظران شيئاً ابعد من عشرين قدماً . فاشبهها في هذه الحالة رجلين مكتوفين

(١) « يسون هناك هذا الضباب غطيته لانه يغطي الارض . والطرابلسيون برونه من مدينتهم
يعمم جبال لبنان كالغيوم

ملقبين لسباع البرّ لان سلاحهما وايديهما التي كانا يعتمدان عليها لم تعد تجديهما نفعا .
وبذلك صارا ضعيفين كطفلين

وكانا من حين الى حين يطلقان بندقيتهما في الفضاء ارباباً وابعاداً للوحوش عنهما
ويبئناهما سائران كعميان يتلمسون الطريق وقد تكاثف الضباب فيها حتى لم يعد يرى
احدهما موضع قدمه واذ هوت اقدامهما في واد صغير فسقطا وانطلقت البندقيتان في سقوطهما
ولولا رحمة الله لقتلتهما . ولكنهما لم يكادا ينهضان مترضين حتى سمعا طلقاً نارياً قريباً
منهما في بطن الوادي وصائح يصيح بصوت اجش - « الوحش الوحش الوحش »
فانقطعت حينئذ انفاسهما وجمدا في مكانهما يتوقعان امراً جديداً

فلم يلبث ان لاحتهما من خلال الضباب المتكاثف على قيد ذراعين منهما صورة هائلة
فان وحشاً هائل الجثة منصّباً على قدميه مغطى جسمه بالشعر وله وجه كوجوه البشر
حواله شعر كثيف طويل ولحية مخيفة كان واقفاً امامهما وقفة الاسد ينتظر فريسته
فكاد دمهما حينئذ يجمد في عروقها خوفاً وجزعاً . ومدّ سليم يده الى بندقيته ولكنه
ذكر انها كانت فارغة

اما ذلك الشخص الهائل فكأنه فهم فكر سليم فرفع بندقيته في الفضاء كتهديد وانذار
وصاح بصوته الاجش « الوحش الوحش الوحش »

فعجب حينئذ سليم وكليم من ان ذلك المخلوق الغريب قادر على النطق كالبلشر . فراءياً
حينئذ وجوب المجاملة فاخفيا جزعهما وابتسما وقال كلیم (العوافي يا عم)
فاجاب ذلك المخلوق الهائل (الله يعافيك ماذا تصنعون هنا)

فتاب الرشد حينئذ الى سليم وكليم وتحركت نفسيهما للدخول في الحديث معه فاجابا
نحن نصيد وقد فاجأنا الضباب وادركنا الجوع فهل معك طعام
فقال الرجل عندي طعام . ولكن لماذا دخلتم الى هنا من غير اذن مني
فقال سليم كنا قادمين لاستئذانك فالحمد لله اننا لقيناك هنا
فقال الرجل . فايكم مرة اخرى ان تدخلوا هذا المكان من غير اذني
فاجاب سليم وكليم . امرك يا عم

وفي هذا الحين هبت ريح شديدة من جهة الشرق فكسنت الضباب عن الجبل ودفعته
الى جهة الارز فانجلي المكان للانظار فوجد سليم وكليم نفسيهما في وادٍ صغير واسع الاديم
وعليه في جانبه العالي كوخ صغير مستور عن الانظار لانه على مساواة الجبل .

فشي الرجل الهائل نحو الكوخ قائلاً: تعالوا لا طعمكم .

نخيل سليم انه قال : تعالوا لا كلكم لانه خاف عاقبة السير معه الى حيث يقصد .
وذكر في تلك اللحظة حكايات الغول والجن التي سمعها في صغره من العجائز والشيوخ وكيف
انها تاكل الناس فقال لرفيقه مازحاً في ابان الخطر اظهراً للقوة : ما جئنا نسمن اجسامنا في
الارز لكي نجعلها طعاماً لوحش كهذا الوحش

وكان الرجل الهائل قد بلغ كوخه في طرف الوادي ودخله ثم خرج ومعه ييضان وكسرتا
خبز فوضعهما على حجرين بازاء الكوخ واوماء الى الرفيقين قائلاً : تعالوا كلوا
وكان سليم وكليم لا يزالان جامدين في مكانهما يتشاغلان باصلاح ملابسهما . فلم
يريا مناصاً من اجابة الرجل الى دعوته . فنقدما نحو الحجرين بجانب الكوخ وجلسا . اما الرجل
فانه جلس بازاءهما بعيداً عنهما نحو ثلاثة امتار

فحدق به الرفيقان هذه المرة جيداً فذهب عنهما حينئذ شيء من الجزع والخوف .
فان ذلك الرجل كان انساناً لا يختلف عن باقي البشر الا بكونه يلبس رداءً مصنوعاً من
جلود الغنم الى ركبتيه وليس على جسمه لباس غيره . وكان وجهه محاطاً بشعر كثيف طويل
شاب اكثره ولكن في عينيه وملامحه دلائل الهدوء والتأمل والانكسار وما هذه بعلامات
الوحوش او قطاع السبيل . فسكن حينئذ بال الرفيقين وقال سليم لكليم هلم ندخل معه في
الحديث فاني اري لهذا الرجل شأناً يُذكر

فانفت اليه كليم وقال : هل مضى عليك وقت طويل في هذا المكان يا عم
وكان الرجل حينئذ مطرقاً الى الارض يتأمل ويفكر بما قام في نفسه لدى مشاهدته
هؤلاء البشر القادمين من المدن . فرفع راسه لسؤال كليم وادار فيه عينين متحمستين
واجاب . اقيم هنا من حينما جئت الى هنا . فقال سليم ومتى جئت الى هنا . فتنهد الرجل
واجاب . من حين تكوين العالم

فنظر سليم الى رفيقه بدهشة . فقال الرجل : مالك لا تصدقني قلت لك انني هنا
من حين تكوين العالم . فاذا كنت نبياً فافهم والا فاسكت وارحني
فقال كليم : عفواً يا عم واسمح لي ان اكلمك بحرية . اننا لما نظرناك اول مرة دهشنا
لاقامتك منفرداً في هذا المكان . اما الآن فيظهر لنا من كلامك انك في شأن عظيم فهل
تكرم علينا وتفيدنا شيئاً

فلما سمع الشيخ هذا الكلام اللين اطرق الى الارض بانكسار وصار يفكر . ثم رفع راسه

وقال : انني مسرور من لطفك ولين كلامك . وهذه اول مرة في خيالي ارى فيها رجلاً عاقلاً . ولكن اعذرني فان سري هائل

فازداد سليم وكلم رغبة في الوقوف على خبر هذا الرجل الغريب فقال سليم : نحن اولادك يا عم فلا تحذرنا

فما سمع الشيخ كلمة « اولادك » اجفل ونهض كأنه افعى لسعته . وبدا الغضب في وجهه فقال : لا لا ايس لي اولاد ولا اريد ان يكون لي اولاد

فقال كليم لرفيقه : لقد هدمت ما بنيناه . ثم التفت الى الشيخ وقال : الحق اقول لك يا عم انني لا استطيع كتمان ما في نفسي . فلا تغضب علينا ودعنا نستفيد منك . انني ارى في امرك شيئاً مدهشاً ويخيل لي انني اقراه في عينيك . فاستحلفك باسم الله ان لا تحرمنا من الفائدة فلما فاه كليم بكلمة « الله » احنى الشيخ عنقه وجثا على الارض وعفر خده بالتراب وهو مطبق العينين فقال كليم لرفيقه همساً : لقد قبضنا على شيء . ثم قال للشيخ . فالله سبحانه وتعالى قد هيا لنا اليوم فرصة لقياك . ولا ريب ان ذلك بتدبير منه وعناية خصوصية . فهل لك ان تطلعنا على سبب اقامتك هنا انفاذاً لارادة الله

فرفع الشيخ راسه واستوى جالساً . ثم قال . نعم ربما كان لله ارادة بهذا الامر . ولا اخفي عنكم انني في الليالي الاخيرة سمعت مراراً صائحاً يصيح . لقد انتهى لقد انتهى

« اجل يا اخوان لقد انتهى ملك الشر والظلم والكذب والرياء والاعتداء في العالم الفاسد . ان الفأس قد وضعت على اصل الشجرة فكل شجرة لا تثمر ثراً صالحاً تقطع وتلقى في النار

» انظروا هذه المملكة الواسعة التي امامنا . هذه هي العالم الحقيقي . ولذلك قلت لكم انني ههنا منذ تكوين العالم . فانا الان هنا اكون العالم الحقيقي الذي يسود فيه الخير والصالح .

وقد مرت عليّ سنوات عديدة اهذب واءدبه . فتم لي ذلك بمعونة الله تعالى . واذا فتشتم هذه الاقطار كلها لا تجدون فيها بين سكانها اثر الافطاع العالم وشروعه المائلة

فقال سليم همساً . نعم لا نجد فيه شيئاً حتى ولا سكان . فاجاب كليم همساً ايضاً . يظهر ان صاحبنا مجنون

ثم التفت كليم الى الشيخ وقال . انني اعجب يا عم كيف استطعت تهذيب هذه المملكة مع ان الملوك عجزوا حتى الان عن تهذيب ممالكهم

فصاح الشيخ حينئذ بغضب . ويل للملوك ولترجف عروشهم من غضب الله . ولو كان اصغر الملوك يصنع بمملكته ما صنعته بمملكتي لما بقي فيها شر . فاني ساءلت نفسي حين سلمت

هذه المملكة ما هو اصل الشر؟ فرايت ان اصله الوحش الذي في الانسان . فانكم تعلمون ان في الانسان شيئين . الوحش والانسان . فالوحش يطلب كل شيء لنفسه ولو مات غيره والانسان يشفق على نفسه وعلى غيره ايضا . فقلت ان راس واجباتي ملك لهذه الديار قتل الوحش لاستئصال الشر . فافتنيت هذه البندقية وقد اشتريتها بجلود عشرين ذئبا واسدين وخمسين ثعلبا وعشر ضباع . وكنت اجلس على هذه الراية وكما رابت احدا يعتدي على غيره - اي كما رابت الوحش يطعم في ما هو لغيره - قتلته برصاصة واحدة . ففي بدء الامر قتلنا مئتا ثم عشرات اما الآن فقد تناقص الشر وقلنا اقل في الشهر واحدا

فارتعدت حينئذ فرائص سليم وكليم لهذا الكلام وتحققا جنون ذلك الشيخ التعيس . وصار ههما اظهار التقوى والصلاح والقداسة لئلا يلحقها بن فتك بهم جنونه من قبل . اما الشيخ فكان في هذا الحين يسرح نظره في مملكته الواسعة . واذا به قد صرخ بغتة بصوت كصوت الوحوش « الوحش الوحش الوحش » وقام يعدو وبندقيته في يده . فالتفت كليم وسليم وهما مدهوشان الى الجهة التي سار فيها فنظرا على اكمة قريبة ذئبين يثقانلان . فلما خرج الشيخ من واديه اطلق على الذئبين طلقتين فصرعهما بالخال . ثم اسرع اليهما فاجهز عليهما وجرهما الى كوخه وطرحهما امام امام سليم وكليم وهو يضحك لفوزه ويقول . كلاهما معتدي فارحنا المملكة منهما

فتنفس سليم وكليم حينئذ الصعداء لانهما علما انه انما كان يقصد بكلامه الحيوانات لا البشر . وقال كليم حينئذ للشيخ الذي كان يحشو بندقيته . « لقد ادهشتنا يا عم بقوتك ونشاطك وصلاحك . فلماذا لا تذهب معنا الى المدن لمحاربة الشر هناك وتكوين العالم الحقيقي فيها . ان مدننا الفظيعة القبيحة بحاجة الى هذا الاصلاح . فلماذا تحرهما من مساعدتك فعبس الشيخ حينئذ وقال وشر الغضب تتطاي من عينيه « المدن ويل للمدن . وويل لي اذا دخلت المدن . فاني لا اقدر على جميع الوحوش التي فيها اذ ليس لي غير يدين ولا اقدر ان امسك بها اكثر من بندقية واحدة . وبندقية واحدة لا تكفي لاختضاع الوحوش الذين فيها . اه من المدن ومن العذاب الذي ذقته في المدن . لا تصدقوا اني ولدت هنا بل اني ولدت في المدن وعشت في المدن . ولكن الوحوش فيها اكاكتني وطحنني ففرت منها . كلا يا اخوان ان صحبة الذئاب والذباع والتمورة في البر افضل من صحبة الانسان في المدن . ولكن لا بأس ستاتي نوبة المدن . وحينئذ ادخل اليها باذن الله دخول المنتقم لله من وحوشها الضارية »

فقال سليم ومتى يكون ذلك يا عماء فقال الشيخ : اما سمعت ما قلته من ان الائم قد انتهى .
فمنذ هذا الحين وقف كلهم وسليم على حقيقة حالة ذلك التعيس . فعلم انه رجل اضاع
صوابه لظلم اصابه فبرح بلدته واقام في تلك الجيات المقفرة وهو يعتقد ان الله ولاء عليها لمحو
الظلم والشر ثم يملكه المدن لاستئصالها منها ايضاً . وقد افنقد سليم وكلهم كوخه ومعيشته فوجدوا
انه يعيش في اشد الحالات ورب يوم لا يتناول فيه غير كسرة خبز اسود يصنعه من دقيق يعجنه
ويشويه على النار او قطعة من لحم الوحوش (المعتدية) التي يصطادها . وكان يمر عليه في
زمن الثلج والشتاء عدة ايام مخبئاً في كوخه الحقيق لا يخرج منه لتراكم الثلج عليه في ذلك
الجيل . وكان قد تعود احتمال البرد كالحوانات . فاذا ذاب الثلج قليلا زحف من كوخه
وخرج على الثلوج يسير عليها زلقاً لا مشياً . كانه سائح فوق ثلوج القطبين
فاشفق كلهم وسليم اشد اشفاق على ذلك الرجل الذي يعيش في شيخوخته هذه المعيشة القاسية .
فصارا يفكران في سبيل لنفعه . وقبل توديعه عرضا عليه نقوداً وسألاه ماذا يتنى . فرداً
النقود بعظمة ضاحكاً وقال : ماذا اصنع هنا بالمال . اما حاجتي فهي ان لا تطلقا النار في
مملكتي على احد الا اذا كان ظالماً معتدياً والا اضطرت الى تاديبكما . فاخبره حينئذ
سليم وهو يضحك في نفسه انهما لم يطاردا الذئب الاً لانه هجم عليهما تلك الليلة في الارز .
قال له الشيخ انني اعرف هذا الوحش وهو يسمى (ابا اليد الحمراء) فساؤده قريباً

الفصل الثاني عشر

﴿ الجميع في الارز ﴾

الحقيقة في افواه المجانين . توافد اهل الحجة الوقا على الارز . عود الى مجنون .
لبلى ورأيه في الاخاء البشري . امين .
رأي روسو في التربية

ونزل سليم وكلهم من رءاس القضيبي بعد ان وعدا ذلك الشيخ التعيس بان يعودا اليه
لزيارته ما داماً مقيمين في الارز

وفياهما مخدرا ن اخذا يتجدثان في امر هذا الرجل . فقال سليم لم تبقي لدينا شبهة في
انه مجنون ولكن هل رأيت كيف ان جنونه منصرف الى اهم مسألة . فقال : اي مسألة تعني
فقال . مسألة رفع الظلم والاعتداء والضغط عن الناس . فهو يسمى « الوحش » كل عاطفة

ردبئة تحمل الحي على اضراحي آخر والاعتداء عليه طمعاً في الفائدة لنفسه . فيا للحكمة والفلسفة في افواه المجانين وعندي ان هذا الرجل لم يدرك هذه الحقيقة الاً بالاختبار والمصائب . فيظهر انه كان تيسياً جداً في حياته في وطنه كما قال حتى انصرف جنونه الى هذه الجهة فقال كلیم سننشد ذلك في زيارتنا الثانية .

وما قرب الرفيقان من حرش الارز حتى سمعا ضجة عظيمة وابصرا الناس جماهير جماهير حول الحرش وداخله . وكانوا بين فتیان وفتيات ورجال ونساء . وهم يبالغون نحو الف شخص فنجب الرفيقان من ذلك ولما وصلا الى الحرش دخلا بين الناس واستخبرا الخبر فعلما حينئذ ما يلي لما وصل الخواجه كلدن وزوجته الى الحدث لم يعجب المكان السيدة اميليا لانها كانت مضطربة النفس من سياحتها لا يعجبها شيء . فتفجرت وقالت : ان جبال كاليفورنيا اجمل من هذه الجبال . فامر زوجها رجاله بالمبيت في الحدث تلك الليلة للراحة فقط والسفر الى الارز في مساء اليوم التالي لانه كان على ثقة من رضى اميليا عن الارز اكثر من الحدث . وفي المساء بلغ اميليا رغبة بعض الاهالي في ان يصنع زوجها (نهاره) عندهم فضحكوا وابلغت زوجها هذا الخبر . وكان كلدن يعلم ان ذلك يسر زوجته جداً . ليلها بالطبع الى الشرقيين ابناء وطنها . فامر وكيله ان يعد له زيالات عثمانية بقيمة الف جنيه وقال لابي مرعب وقومه (يس يس سنامل يوم كلدن في الهرز) يعني (سنعمل يوم كلدن في الارز)

فمنذ هذا الحين طار هذا الخبر بسرعة البرق الخاطف بين السكان والقرى في الجبة كلها . فضحك له الخاصة وسراً به العامة . واذ علم ان ذلك الغني الاميركي مسافر في اليوم التالي الى الارز اخذ القرويون ينسلون الى الارز من كل حذب وصوب ليستقبلوه استقبالا عظيماً وينتظروا يومه . وكان اكثر القادمين من الطبقات المحتاجة . ومع ذلك فقد كان اكثرهم يظهر انهم قادمون لاکرام غني كريم كهذا الغني ومشاهدته لا لنواله . فيا لعزة نفس الشرقي الذي يرى توزيع المال عليه من غير عمل يتعب فيه نقيصة وعاراً

وبينا كان الرفيقان يجولان بين الجموع التي اجتمعت في الارز واذا برجل يناديها من بعيد « يا خواجهات يا خواجهات » فالتفتا فابصرا رجلاً غريباً لا يعرفانه . ولكن هذا الرجل ضحك ودنا منها . ولما اقترب صاح سليم وكلیم معاً : مسيو مخوف . فقال المجنون العاشق مبتسماً : نعم مسيو مخوف . هل علمتم متى يحضر الاميركي

فلم يجب الرفيقان عن هذا السؤال لانهما كانا مشتغابين بالدهشة من حالة مخوف الجديدة . فقد كان لابساً ثياباً نظيفة مرتبة وفي رجله حذاء ليس بقديم وعلى راسه طربوش نظيف

وشعره ولحيته مقصوصان ومزيناان وكانت هيئته وكلامه واشاراته كلها تدل على انه معتن بنفسه اشد عناية . ففطن سليم في الحال الى ان هذا الانقلاب الجديد فيه نتيجة الدرس الذي القاها عليه في عين السنديانة . فسرَّ بهذا الخير الذي قدر على صنعه مع هذا المسكين . ومن هذا الحين ازدادت عنايته به لاتمام عمله

واذ انفرد سليم بخلوف سألَه ابن بدلت ملابسك يا خواجه مخلوف . فنظر اليه المجنون بلطف كاطف الاولاد واجاب بدلتها في حصرون . فقال وهل تعرف احداً فيها . فخدق مخلوف فيه واجاب : وهل نحن نحتاج لمعرفة الناس . اما نحن جميعاً اخوان . انني حينما اكون ادخل اول بيت اراه في وجهي واطلب من صاحبه او صاحبتة ما اكون في حاجة اليه . فأكل واشرب والباس ثم انطلق على شرط انني لا احمل معي شيئاً حتى ولا كسرة خبز لان الله يرسل خبز الغد . فدهش سليم وساله : واذا منعوا عنك ما تطلب . فغضب المجنون واجاب : كيف يمنعون عني ذلك اما نحن اخوان . اليس لي ما لهم ولهم مالي . الا يعلمون انهم اذا امنعوا عني شيئاً فالله يمنع عنهم اضعافه

فضحك سليم وقال له : اذا بقيت لك هذه الافكار الجميلة يا خواجه مخلوف فانك تبقى سعيداً وتنال امنيتهك . . .

وما اتى سليم على هذه العبارة حتى شوهدت الجموع في الارز تتحرك كلها مسرعة نحو الطريق فقال مخلوف لعل صاحبنا الاميركي قد اتى

وكان قد امسى المساء واشعة الشمس لم تعد تصل الى الارز لانها توارت وراء آكام بشري والديمان والحدث . الا ان عصابة منها كانت تزين رؤوس الجبال فوق الارز دلالة على انها لم تغب بعد . وكان القادمون في هذه الساعة رجال المستر كلدن سبقوه لنصب الخيام فاجتمع عليهم الناس . وقد نصبوها في شرقي الارز تحت اشجاره على اكمة عالية تشرف عليه . اما المستر كلدن وزوجته وابنتاهما ووكيل اشغاله فكان وصولهم بعد هبوط الظلام وبعد وصولهما بساعتين اذا بثلاثة بغال داخله الى الارز . وعليها امين وابواه . فدهش سليم وكليم لذلك . وكان امين في اضطراب وانزعاج شديد . ثم علما من ابويه ان عدوه القديم الخواجه لوقا طمعون وصل الحدث للتصنيف فيها ولذلك فرَّ امين منها . هذا فضلاً عن رغبته في حضور « يوم كلدن » في الارز

ولم ينتصف الليل حتى صار عدد المتوافدين على الارز نحو التي شخص فلما راَهم سليم وكليم يتقدمون على الارض للرقاد بدون غطاء ولا فراش قال سليم لكليم . نحن حسبنا

اننا صنعنا امس صنع الابطال بنومنا تحت هذه الاشجار على خرج تحت غطاء خفيف فانظر الى اصحابنا القرويين فانهم ينامون بلا خرج ولا غطاء كان الامر عندهم في غاية البساطة فاجاب كليم هذا مصداق لقول روسو يجب ان لا يربى الانسان كشجرة تعيش في هذا الاقليم ولا تعيش في ذاك بل يجب ان يجعل قادراً على المعيشة في كل الاقاليم فحيثما القيت به جاء واقفاً على قدميه نشيطاً قوياً قادراً على احتمال كل تقلبات الحياة

الفصل الثالث عشر

كيف يكون غضب النساء *

تاجر في بيروت يطلب وكالة الاشغال في الشرق . حلم اميليا .
غضبها . قصتها

وفي الصباح انتبه المستر كلدن مع غريبان الارز لانه كجميع الرجال الشيطانيين اعتاد التكبير . ولما نهض استدعى كاتم اسراره المستر كرينجي وساله هل انتهت لادي كلدن . فاجاب كلا . فقال كلدن خذ كرسيًا يا مستر كرينجي واجلس . هل ورد البريد الاخير . فاجاب كاتم الاسرار نعم يا سرفداخذناه في الحدث وهذه بضع رسائل تقتضي الجواب . فتناولها المستر كلدن بنشاط واجال نظره فيها

وبعد حين سأله من هو كاتب هذا الكتاب . فاجاب كرينجي هو تاجر مشهور في بيروت وهو يقول في ختامه انه قادم لمقابلتكم للترحيب بكم والاتفاق معكم على الشروط . فقال كلدن وما رأيك في طلبه . فقال كرينجي بما انكم عزمتم على احشكار الشرائق والحرير في العالم فمن الصواب ان يجعلوا لكم وكيلًا وطنيًا في سوريا ولبنان لابتياح الموسم . فقال كلدن وهل هذا الرجل مشهود بامانه واستقامته . فضحك كرينجي وقال لقد ارسل مع كتابه شهادات من اعظم الرؤساء الدينيين والمدنيين حتى من بعض قناصلنا . وهذه هي الشهادات

ثم ان كاتم الاسرار القاها على مائدة في وسط الخيمة

وكانت هذه الخيمة منصوبة بجانب خيمة لادي كلدن وابنتيهما . فيظهر ان حديث الرجلين نبتة اللادي من نومها . فانها في ذلك الحين ازاحت باب الخيمة وظهرت بثوب النوم باسمة موردة الخدين كانها وردة رطبة برزت من وراء غضنها . فقام اليها المستر كلدن مسروراً السرورها فقبلها قبلة شبيهة في الصباح وادخلها خيمته لان البرد كان قارساً في الخارج

فخرج حينئذ كرنيجي من الخيمة . فسألهما كلدن كيف ترين الارز . فاجابت هذه اول مرة سررت فيها بسياحتنا . ولولا هذا المكان الجميل الجميل لاسفت على انتقالنا من اميركا . فقال كلدن الحمد لله الحمد لله . وهل ذهبت الافكار السوداء . فعبست اميليا وقالت بحياتك لا تذكرني بها . آه لو تعلم الحلم الجميل الذي رايت في هذا الليل . فقال ماذا رايت . فقالت وقد بدت الدموع في عينيها رايت في السماء لابساً ملابس الملائكة وهو يتسم لي ويقول . رضي الله عنك رضي الله عنك . لا تحزني فاني استرحت هنا بعد عذابني في الارض وهنا استخرطت اميليا في البكاء فاكبت على المائدة التي كانت في وسط الخيمة وصارت تذرف الدموع . فلام المستر كلدن نفسه لانه فتح هذا الباب . ورغبة في صرفها عنه مال اليها ملاطفاً ومتوجعاً وهو يقول . بحياة عينيك يا حبيبتي لا تنعصي عيشنا في هذا اليوم الجميل ولا تهيجي عينيك بالبكاء فعليك مقابلة الناس . فرفعت رأسها وقالت اي ناس . فقال انك ستصنعين « يوم كلدن » بيدك . فتكون الهبة اكثر قيمة واشد تأثيراً . اذ شتان بين يدك البيضاء الجلياة ويدي الخشنة . وفضلاً عن ذلك فان تاجر مشهوراً من ابناء وطنك سيزورنا اليوم . فقالت بدشة اي تاجر . فقال هو تاجر من بيروت يطلب ان يكون وكيل اشغالنا التجارية في الشرق كله وهذا كتابه وشهاداته امامك على المائدة فمدت اميليا يدها الى الاوراق وادارتها لترى التوقيع الذي على الكتاب وحينئذ صاحت صيحة من اعماق قلبها ووثبتت مجفلة كان حية لسعتها فاجفل المستر كلدن وعثرته دهشة عظيمة فصاح ما بك ما بك اما اميليا فكانت منصبة بهياج شديد وراء المائدة ووجهها كوجوه الاموات لاصفراره فهاه منظرها المستر كلدن وحسب انها جنت . فصاح بحياتك اميليا قولي ما بك فصاحت حينئذ اميليا بصوت كصوت لبوة هوجمت اشبالها . من اوصل هذه الاوراق الى هنا

فقال كلدن : هل تعرفين صاحبها

فصاحت اميليا : يسألني هل اعرفه . ومن ذا الذي لا يعرف الذئاب والوحوش الضارية . ماذا يريد هذا الرجل منا . اما كفاه انه سم اول حياتي فجاء الآن يسلم آخرها ففهم كلدن حينئذ ان في المسألة سرّاً : فقال لها بلطف . عفواً يا اميليا . هدي بالك واجلسي لتحدث في هذا الشأن بهدوء . ولا يكون الا ما تحبين فقالت اميليا . لا لا . لا اريد ان اتكلم عن هذا الرجل ولا ان اسمع اسمه ولا ان

ارى وجهه . حبيبي جورج اقتلني ولا تجعل له في حياتي ذكراً بعد اليوم . لانه يسمم حياتي . انني ارى دهشتك الان واعلم ماذا تقول في نفسك . انك تقول لم اعهد اميليا رديئة القلب الى هذا الحد . فانها من الذين يصفحون ويحلمون ويحبون اعداءهم ويباركون مبغضهم فما بالها الآن عمدت الى الرذالة والخبث . لا لا يا حبيبي لست رديئة ولا خبيثة . وانما انا فتاة ذقت من هذا الرجل ما لم تذقه الفرائس من الوحوش . فانا اغفر كل الذنوب والآثام واصفح عن كل الاساءات الا عن اساءة هذا الوحش . واذا كان الله يكتب عليّ هذه العاطفة الرديئة فاني افضل دخول جحيم على الصنع عن هذا الرجل

وكانت اميليا حينئذ في حالة لوراها رافايل لعض اصابعه تحسراً على انه لم يظفر بثلاثه في حياته ليصور بصورها اجمل سيدة في اجمل غضب . ولوسمعا الناصري لعلم مبلغ ظلامتها من مبلغ تأثرها وحينئذ يقول لها : ايها المرأة مغفورة خطيئتك

اما كلدن فانه صار يضحك بعد وقوفه على حقيقة المسألة . فقال لها . انا لا اسيء الظن بك لانني اعرف قلبك . فاجلسي وقصي عليّ القصة من اولها . ثم ان غضبك في غير محله فان الغضب يكون عادة سلاح الضعفاء المغلوبين لا الاقوياء . وهو الآن ضعيف بالنسبة اليئالانه جاء يرجو منا لتجعله وكيل اشغالنا . فصاحت اميليا . كما كان وكيل اشغالنا فقال كلدن اذاً فاضحكي يا عزيزتي ضحك القوي الواثق بقوته وبحقه . المنصر على خصمه . بدل ان تغضي غضب الخوف والاهتمام بما لا يستحق الاهتمام

فسكن حينئذ جاش اميليا شيئاً فشيئاً وجلست نقص عليه قصتها . فعلم كلدن ان الخواجا لوقا طمعون هو الرجل الذي كان سبب مصابها ومصاب اهلها . فانه كان اولاً من اصدقاء ابياها وكان يتزلف اليه ويتقرب منه طمعاً في الفائدة . وكان يتظاهر بانه يريد الاقتران بابنته . فاصطفاه ابوها واطلعه على اشغاله واسراره وصار يعول على نصائحه وآرائه ويمده بمساعدته نفعا له وترويجاً لاعماله . فاغتنم لوقا هذه الفرصة وغدر بالرجل ليخني اشغاله على انقراض اشغاله ويحل محله في بلده ويجمع لنفسه راسمالاً من راسماله . فادت دسائس لوقا لابيها الى خسارة ابيها امواله كلها وخراب محله وسقوط منزلته . فمات امها قهراً من هذه الحالة . وهي نفسها عزمت يوماً على الانتحار تخلصاً من الفقر والضييق والجوع فالتقت نفسها في البحر ولكنها اخرجت قبل فراق الروح . فعدلت حينئذ عن الانتحار وعزمت على الفرار من بلدها ففرت وتركت اباهاً وحيداً فريداً . وهذا ما كان يطير صوابها . الا انها كانت تؤمل ان اباهاً يقدر ان يعيش براحة وحده في منزله . فخاب امها من سوء الحظ

ونكد الطالع لان اصحاب الديون تجريض لوقا استولوا على المنزل وباعوه وطردهوا الرجل منه . وكان قصد لوقا من ذلك محو كل اثر لهذه العائلة واثرها القديم لانها تذكره بحالته القديمة . ومنذ هذا الحين لم تعد الفتاة تسمع شيئاً عن ابيها . فكيف تستطيع الآن ان ترى وجه ذلك الرجل الذي كان سبباً في كل هذه الفظائع والمصائب . ولكن ما انت اميليا على آخر الكلام حتى علت في الارز جلبة شديدة وكثر الصياح والصراخ فخرج المستر كلدن من خيمته ليعلم السبب فلقى سكرتيره المستر كرنيجي داخلاً فساء له ما الخبر . فاجابه قوم يتخاصمون ويتضاربون

الفصل الرابع عشر

✽ مجنون ليلى وملك راس القضب ✽

احناع جنونها على واحد

وكان لتلك الجلبة والصياح سبب في غاية الاهمية . واليك يانه كان الخواجه لوقا طمعون المذكور آنفاً تاجراً صغيراً في صيداء يرتزق من معاملة كبار التجار . ولكن لم تمض عليه عدة سنوات حتى انتقل الى بيروت لان صيداء ساقية لا تحمل سفينة كبيرة . فوسع اشغاله في بيروت ما شاء التوسيع ولكن دولاب حظه كان واقفاً في تجارته مع ذكائه ومهارته . ولولا اعتماده على اهل له في بيروت لما قامت له قائمة ولا قدر على ان يعمل شيئاً . فلما سمع بمجيء المستر كلدن الغني الاميركي المشهور الذي يملك الملايين وعزمه على اقامة وكيل له في الشرق للاعتماد عليه في تجارته الاميركية صادراً ووارداً علم انه اذا نال هذه الوكالة كانت له غنيمة عظيمة . فلم يذخر وسعاً في ذلك ولا ترك واسطة الا استعملها . ولكن لما قدم كلدن الى بيروت لم يستطع لوقا مقابلته لان لادي كلدن ابت استقبال احد في بيروت كما تقدم وسافرت منها في الحال . فعلم الخواجه لوقا ان صاحبه مسافر الى الحدث فركب مركبة من بيروت قاصداً البترون ومنها امتطى فرساً الى الحدث . فلما وصل اليها قيل له ان الاميركي سافر الى الارز فقتبعه على الاثر .

وكان الخواجه لوقا كمالاً في نحو الاربعين من العمر وهو بدن ذو جسم قوي ولسان طلق . وكان جريئاً مع الضعفاء ولكنه ضعيف مع الاقوياء شأن اهل السياسة الجبناء . الا انه مع ضعفه مع الاقوياء كان قادراً على مقابلة رجل كالمستر كلدن واستمالته وارضائه

وكان وصوله الى الارز قبل بزوغ الشمس وكان كايم وسليم وامين جالسين عندئذ على
أكمة صغيرة مشرفة على الطريق خارج الارز
فلما ظهر الخواجه لوقا في الطريق ارتجف امين وقال لكليم: لا حول ولا قوة الا بالله
ان هذا الرجل الذي قطع جبل حياتي يتبعني ابنا ذهبت
وكان مخلوف المجنون قادماً من الارز في هذه الساعة نحو الرفاق الثلاثة . فلما وصل اليهم
كان الخواجه لوقا قد صار على مقربة منهم
فالتفت لمخلوف الى القادم وهو ينشد حسب عادة

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا واخرى بنا مجنونة لا نريدها

ولكن ما وقع نظره على القادم حتى حمد في مكانه كانه صنم اصم . ولولا ثقلية عينيه
في الرجل القادم لظن رفاقه انه فارق الحياة وهو قائم على قدميه
وبعد هذا الجود برهة أسرع مخلوف وعينه تستطير شرراً فنزل عن الأكمة ووقف
على الطريق . فلما وصل اليه الراكب صاح مخلوف صيحة كعواء الكلاب والذئاب . وقال
« هذا هو » ثم اطبق على لوقا فاخذ به وشدّه فالتقاء عن جواده على الارض كالجدع الممدود وبرك فوقه
فهجم حينئذ المكارى وسليم وكليم ليرجعوه عنه فكان مخلوف يصيح كالوحوش والزبد
على شدة « لا يرجعني عنه احد غير الله . . . قد اهلكني . . . قد حرمني حياتي . . .
لولا لما فرّرت حبيتي . . . الانتقام . . . الانتقام »

وكان عند كل كلمة من كلامه يضرب لوقا بقبضته ضرباً شديداً وهو كالجلج الهائج
وناهيك بغضب المجانين . فاسرع الناس من جهات الارز على صوته عشرات عشرات ومئات
مئات فتكاثروا عليه وانهمضوه عن خصمه بعد جهد شديد . فانقلب مخلوف من الغضب على
خصمه الى الغضب على نفسه وهو في اشدّ حالات الجنون . فتناول حجراً وصار يضرب به
نفسه ويلقي نفسه على الارض ويقوم وهو يهذي بهذا الكلام « مسكتك يا ظالم . . . دعوني
معه لاحاسبه . . . مضت سنوات وانا افقش عليه . . . هل يموت حق حبيتي . . . ابدوا
والا قتلتم كلكم . . . اليوم يوم النار . . . يا الهي ارسل الان صواعقك اذا كنت
عادلاً . . . صاعقة واحدة فقط . . . نقتلني ونقتله »

وكأن الله اجابه الى طلبه في هذه الساعة . فان الناس الذين كانوا يمنعون عنه
فريسته تركوها واجفلوا راجعين القهقري اجفال العاصف حين ظهور الباشق . ذلك انهم شهدوا
امامهم مشهداً مرعباً . فان وحشاً بشرياً هائل المنظر كان قادماً نحوهم وفي يده بندقية

فالتفت سليم وكليم وصاحا : هذا صاحبنا . ما جاء به
 اما مخلوف فانه لم يهيمه شيء من كل ذلك . بل انه لما رأى الجموع قد فترت من
 وجهه وتركت الخواجا لوقا وحده مشغولاً باصلاح ملابسه هجم عليه كالذئب واخذ بخناق
 فحينئذ خرج من فم الوحش البشري القادم وفي يده بندقيته صوت اجش سمعه القارى
 قبل الآن في راس القضيبي وهو صراخه « الوحش الوحش الوحش » - ثم انه سدّد بندقيته
 نحو مخلوف ليطلقها عليه

فعلم سليم وكليم ان صاحبهاملك رأس التفضيب سيقتل مخلوف ولوقا معاً اذا لم يدخل
 بينهم لاعتباره ان مخلوف ظالم معتد كما كان يقتل الحيوانات التي تعتدي على رفاقها .
 فدخل سليم وكليم حينئذ بين الفريقين وواريا مخلوف ولوقا وراءهما وصاح كلهم . يا عمّ دعه
 فنحن نؤدبه ونأتيك به

وكان مخلوف وخصمه يتصارعان حينئذ بقوة هائلة والناس لا يجسرون على الدنو منها
 للدخول بينهما . ولكن حانت من مخلوف النفاتة فابصر ذلك الوحش البشري ينظر اليه
 وبندقيته مسددة نحوه . فانتبهت فيه عاطفة الحرص على البقاء . فترك خصمه وخطا
 خطوتين نحو الشيخ الهائل غضوباً فتبعه سليم وكليم لئلا يقتله الشيخ

ولكن ما تقدم مخلوف بضعة امتار حتى وقف مدهوشاً هذه المرة ايضاً وصرخ صرخة
 دوت لها الجبال . ثم هجم على الشيخ صائحاً « متى حاروم حنا حاروم . . . جئت في
 وقتك . . . وفي يدك بندقيتك . . . انظر صاحبك لوقا طمعون . . . »

فلما سمع الشيخ الهائل اسم (لوقا طمعون) ظهرت الرعدة في جسمه وجحظت عيناه
 واصططكت ركبته . فهجم كالذئب نحو لوقا . واذ عرفه زجر كالاسد صائحاً « يا لعيني اميليا . .
 حقاً لقد انتهى » . . . ثم سدّد البندقية نحو لوقا واطاق نارها عليه

فصاح سليم وكليم وهما نحوه واكن من حسن الحظ لم ينطلق الرصاص لان الضباب
 كان قد رطب بيت البارود

فحينئذ التى الشيخ بندقيته وهجم على لوقا طمعون فتبعه مخلوف هاجماً لهجومه
 فكل من رأى ذئاباً تهجم واسودّ اثب وضباعاً تغضب يمكنه ان يتصور هجوم هذين
 التبعسين على ذلك التعاس

فصاح كلهم وسليم بالجموع التي كانت تنظر اليهم من بعيد . الينا يا شباب وساعدونا
 فهذا وقت المروءة . فهجم الناس لمساعدتهما ولكنهم لم يستطيعوا الفصل بين المجنونين وfriستهما

الا يجهد شديد . فذهب لوقا طمعون نحو خيام المستر كلدن والدماء تسيل من وجهه والجماهير تتبعه ليعسل جروحه . اما مخلوف والشيخ فقد ادركتهما نوبة الجنون حنقاً لعجزها عن خنق الخصم فسقطا على الارض مصروعين بلا حراك . فقيدهما سليم وكايم لئلا يضر نفسيهما ثم نقلهما الى الغرفة المقابلة للكنيسة واقفلا الباب
هذه هي الحادثة التي كانت سبباً في الجلبة التي سمعها المستر كلدن بينما كان يحدث امرأته

الفصل الخامس عشر

✽ ذئب لدى لبوة ✽

موقف حرج

فهنأ واسفاه لم تبق حاجة الى شرح الحادثة التي تقدمت لان القارئ اللبيب فهم كل تفاصيلها وروابطها واسبابها . وعرف مبلغ تعاسة اميليا
وما استقر المستر كرينجي برهة في الخيمة مع المستر كلدن وزوجته حين دخوله عليها كما تقدم حتى دخل الترجمان يقول ان رجلاً يدعى الخواجه لوقا طمعون قد حضر من بيروت للسلام على حضرة السر . فعاد الاضطراب حينئذ الى اميليا ونهضت لتخرج الى خيمتها . فاماء اليها المستر كلدن ان تبقى لتلتذ بمشاهدة خصمها تحت قدميها . ثم همس بضع كلمات في اذن سكرتيه ليطاعه على طرف من المسالة . وبعد ذلك قال للترجمان قل للرجل ان يدخل فدخل لوقا طمعون باشاً ضاحكاً كأنه لم يصب بمكروه . فخيا اجمل تحية . فخاوبه المستر كرينجي . اما المستر كلدن فقد كان يتشاغل بتقليب الاوراق على المائدة واما اميليا فقد ادارت ظهرها للباب وانحرفت نحو الظل وهي ترتجف من الغضب والحقد
فساء لوقا هذا الاستقبال البارد فجلس منقبضاً . وبعد ان دام السكوت دقيقة قال المستر كلدن بنزق وهو ينظر في الاوراق لا في وجه ضيفه : ماذا تريد حضرتك . فاجاب لوقا . لقد كتبت لجناب السرا عرض عليه خدمتي في كل ما يريد في الشرق اذ بلغني انه يطلب وكيلاً . فقال كلدن . وكيف تريد ان اتخذك وكيلاً من غير ان اعرف امانتك واستقامتك

فانجرح هنا لوقا في صميم شرفه التجاري والادبي فصعد الدم الى راسه واجاب : لقد

قدمت لحضرتك الشهادات الكافية وفي جملتها شهادة رئيس ديني كبير

فقهه حينئذ كلدن بصوت عالٍ وقال : شهادات ؟ هل تريد ان اجعل احد خدامي
يجلب مثل هذه الشهادات بعشرة ريات فقط . ثم النفث الى اميليا وقال : ما قولك مسر
هل تقبل منه هذه الشهادات

فلم تجاوب اميليا لانها كانت غير قادرة على الكلام . اما لوقا فعدل حينئذ عن مطلبه
فقال بشيء من عزة النفس : عفواً يا سر . انا سالت حضرتكم سواءً الا اذا قبلمتموه شكرتكم واذا
رفضتموه عدت من حيث اتيت مسروراً باني تشرفت بمعرفتكم

حينئذ دبت الحماسة في صدر اميليا لانها شعرت بان الخصم لا تزال له قوته التي
سحقها في ما مضى . فعزمت على سحق هذه القوة للانتقام منها . فجمعت قواها كلها وقالت
- ان طلب المستر كلدن حتى اذ بلغته اعمالك في صيداء

فقال لوقا في نفسه الآن علمت سر المسألة فان اعدائي ومزاحمي سعوا بي لدى هؤلاء
الكرام ولذلك اساءوا استقبالي . ثم اجاب مبغوتاً ومظهراً الدهشة . عفواً ياسيدي الكريمة
اية اعمال تعنين . ان جميع اهل صيداء يشهدون لي بحسن السيرة والسريرة والشرف .
واذا تفضلت واطلعت خادمتك الامين على الاقوال التي بلغتكم من حسادي واعدائي فاني
انقضها كلها قولاً قولاً

فاجاب المستر كلدن حينئذ بمجدة : انا لا احب كثرة الكلام ياسر لوقا . فاذا
شئت ان تكون وكيلاً لاشغالنا فجنسنا بشهادة شرف واستقامة من الخواجا متى
حاروم في صيداء

فلوان الصاعقة وقعت تحت قدمي لوقا لما اثرت فيه تأثير هذا الكلام . فنهض بمجدة
وصاح . لا تصدق ياسيدي لا تصدق كل ما سمعته . فان هذا الرجل جاهل سيء التدبير
فحرب نفسه و

فهنا لم تعد اميليا تستطيع السكوت فقطعت كلامه وصاحت بمجدة رغماً عنها . لانهن
الناس ياخواجه بل اجبنا اني بالشهادة المطلوبة ام لا

فقال لوقا في نفسه حينئذ . انني اذا ذكرت لهم ان متى حاروم موجود الآن في الارز
بجالة الجنون والهول وقد كاد يفتك بي فتلك افصح شهادة . فانهم يسألونه ويعلمون منه ما
يريدون علمه . فاجاب . ان متى حاروم ياسيدي لم يوقف له على اثر منذ عشر سنوات
فقات اميليا والدموع مل عينها . ومنزله . فقال قد بيع . قالت واهله . قال كان له زوجة

فتوفيت وابنة طائشة فرّت وتركته

فحينئذ وثبت اميليا مكن لسعته انعى في صميم قلبه وصاحت باعلى صوتها : يا ظالم تخرب بيته وتميت زوجته وتهرب ابنته وتبيع منزله وتحو اثره ثم لا تكتفي بكل ذلك بل لا تزال تطارده بحقدك وبغضك فتبينه وتهين ابنته امامنا الان .

فغضب لوقا عند هذا الكلام وقال : الوداع يا سادتي . وهم بالخروج . فوثب اليه كلدن وثبة الاسد فاخذ بذراعه وقال بحدة . مستر لوقا قبل ان تخرج من هنا اجث واطلب الصغى من مسز كلدن ابنة الخواجه متى حاروم

وان القلم ليعجز عن وصف ماجرى حينئذ وكيف استقبل لوقا هذه الصاعقة التي انقضت على راسه ولكن لما انقضت دهشة لوقا وعلم خطارة موقفه وهوله جمع قواه وكبرياءه التي كانت قد فارقت . وبعد السكوت برهة قال . الان فهمت يا سيدتي سبب ماجرى . فصار يجب عليّ تبرة نفسي لا للحصول على وكالة اشغال بل حفظاً لكرامتي لديك . فكل ما بلغك عني يا سيدتي كان معكوساً او مبالغاً فيه . اذ اى عمل عملته في معاملتي ابيك ولا يعمل كل الناس اليوم . والمستر كلدن زوجك المحترم لا يستطيع تكذيب كلامي . اسأليه اذا شئت كيف جمع ثروته الطائلة وملايينه العديدة . اما افلست بنوك خصوصه وقامت بنوكه . اما امتصت سكه الحديدية ثروة سكك اعدائه . اما خربت في الاحتمكارات التي احتكرها الوف من المحلات وافلس في مضاربه الوف من المضاربين . فما الحيلة اذا كانت هذه طبيعة التجارة نفسها . وكيف نستطيع جمع الثروة لننفع بها الناس اذا كنا نحذر من ضرر هذا ونخاف مزاحمة ذاك . فهذه سنة العالم وقد قال جوت « الى الامام الى الامام ولوفوق الجثث »

فدهش المستر كلدن لثبات جائش الرجل بعد تضععه وللطريقة التي حوّل بها الموضوع عن محوره . اما اميليا فقد خامت عن نفسها لدى هذا الكلام ثوب الحاضر وارتدت بثوب الماضي واجابت بحدة

— كل هذا الكلام يا سيدتي لا يبرىء السرقة والاحتيال والدسائس والسلب والنهب . نقول التجارة والاصول التجارية ولكن اى تاجر شريف يزعم ان اله التجارة يطلب دائماً ضحايا بشرية ودماء بشرية . اى تاجر خال من عواطف الشرف والانسانية يرضى بان يجمع ثروة من طعام الاطفال ودموع البنات وموت الاولاد وخراب البيوت . اذا وجد في العالم هذا التاجر فلا اسميه تاجراً بل اصباً وقاطع طريق . بل هو اذى من اللصوص لان اللصوص يهاجمون الانسان من وجهه اما هو فانه يغدر به لانه يباغته من وراء ويغمد خنجره في ظهره .

كلا يا سيدي ليست التجارة هي التي دفعتك الى صنع ما صنعت بل طمعك ورغبتك في الثروة بآية طريق كانت . وانا الآن است آسفة على ما ضاع من الاموال والارزاق لان الله عوضني خيراً منها وانما اسفي على شيء واحد لا يعوض وهو فقد ابي وهنا تفرق الدمع في عيني اميليا . فتأثروا لهذا الدموع وهذا الكلام وان كان فيه اهانة له لانه رآه ممزوجاً بشيء من اللطف . لاسيما وانه كان ينتظر اشد منه ففكر قليلاً ثم قال باسماء : سيدي انني اعرف مكان ابيك . وساجيئك منه بالشهادة المطلوبة فرفعت اميليا حينئذ يديها وعينيها الى السماء وصاحت بمجنون « ماذا نقول » فقال الرجل نعم انني اعرف مكان ابيك . فنهض حينئذ المستر كلدن مدهوشاً وصاحت اميليا « اين اين قل فاملاء فاك دراً . رده الي فانسى كل اساءاتك . وا ابتاه والبتاه . اصحيح ما نقول . . قل قل مالك لا نتكلم . متى نظرته ؟ » فاجاب لوقا (اليوم) فصاحت اميليا « اليوم ؟ واين ذلك اين » فقال لوقا هنا في الارز

الفصل السادس عشر

✽ صوت الابنة الكريمة ✽

يحبي العظام الرميّة

حينئذ ذهلت اميليا عن نفسها وعن زوجها وعن مقامها ووثبت خارج الخيمة كالبرق الخاطف وهي تصيح « اين اين »

فتبعها المستر كلدن وسكرتيره لوقا . وحينئذ عرف المستر كلدن من لوقا تفصيل ماجرى فرام كلدن تسكين جاش زوجته واقناعها بالانتظار الى ان يصلحوا ملابس الشيخ ويمسحوا حالته وينقلوه من تلك الغرفة . اما اميليا فلم تصغ لاحد بل مرقت كالسهم قاصدة الغرفة فلم يكن لوقا ولا كلدن يعرفان واسفاه انه كان مجنوناً

✽ ✽ ✽ ✽ ✽ ✽ ✽ ✽ ✽
فلما وصلت اميليا الى باب الغرفة دفعته وهي ترتجف ودخلت فابصرت على الارض شخصين مقيدين رافدين - والحقيقة انها كانا في نوبة الصرع كما تقدم
فصرخت اميليا صرخة الجنون والياس حين وقع نظرها على ابيها بتلك الحالة ورجعت

القهرى خوفاً . ولكنها كالبرق عادت اليه وأبكت عليه
وكان الناس قد اجتمعوا في الخارج فنأدى كرنيجي اثنين منهم وحملها مخوف فنقلاه
الى الكنيسة فبقيت اميليا مع ابوها
فانحنت الابنة حينئذ تقبل قدميه ويديه . وكانت تبكي وتناديه بصوتها اللطيف «ابناه ابناه .
انتبه فقد جاءت اميليا . . ابناه . افتح عينيك وانظر اليّ . . لقد جئت بك بحفيدتين معي .
قم وانظر اليهما فانهما تذكرانك اميليا صغيرة . . ابي هل غضبت عليّ ولعنيتي لما تركتك . .
هل خطر في بالك انني فرت من خدمتك . . قم واخبرني انك لم تسيء الظن فيّ . . ان
ضرباً من الجنون استولى عليّ ودفعني الى السفر . . ففعل الله هو الذي اراد ذلك لاعود
اليك بالخير والغنيمة والظفر . . ابي مالك لا تجيبني . . ما هذا الرباط الذي في
يديك ورجليك . . ما هذا الجلد الخشن الذي يستر جسمك مع انه كان يلبس
الملابس الناعمة . . ما هذا الشعر الهائل الذي يغطي جبينك الذي كان صافياً هادئاً . وما هذه
الشقوق التي في قدميك . . آه لقد تعذبت في شيخوختك كما تعذبت في صباي . ولكننا
استرحنا الآن . . فقم وعانقني . ابناه ابناه مالك لا تجيب . .

فيا لثأثير الحنان البنوي . يا لفعل القلب في القلب . يا للعدالة الابدية التي لا تسمح
بموت «الحق» في العالم

فان الشيخ الهائل لم يلبث ان تحرك لذلك الصوت الملائكي اللطيف وانفض وفتح عينيه .
فحمدت اميليا في مكانها جمود الصنم . فادار الشيخ نظره في المكان متحيراً كأنّ على عينيه
غشاوة . ثم صاح ماذا تريدون . فغضت اميليا بدمعها واجابت . « ابي . هل انتهيت . »
فبهت الرجل وقال متحيراً من انت . فقالت « انا اميليا اميليا »

فحينئذ جلس الشيخ منثاقلاً وصاح غاصاً بدموعه . اميليا متى جئت يا حبيبتي . -
فانطرحت المفقاة بين ذراعيه وصارا يبكيان بكاء اللقاء بعد طول الفراق
ولم يدون علم الطب قط في تاريخه حادثة شفاء من الجنون كهذه الحادثة الغريبة .
وكل من سمع بها رجح ان الشفاء كان من فراغ جنون الشيخ في تهيجه الاخير على لوقا وان
كان لصوت ابنته دخل في ذلك ايضاً

واذ سألت اميليا اباه عن حالته وسبب وجوده هناك ولبسه تلك الملابس وجدته
اشد منها عجباً ودهشة من ذلك . لانه بعد رجوع عقله اليه نسي كل ما كان

وبعد ساعة ونصف حضر « مزين » من بشري فاصلى شعر الخواجا متى وألبس ملابس نظيفة ونقل الى صدر خيمة اميليا . وكان الناس في الخارج قد ضجروا وهم ينظرون « يوم كلدن » فلما بلغ ضجيرهم الى المستر كلدن قال لاميليا باسماء « لا انا ولا انت بل ان اباك هو الذي سيعمل يوم كلدن »

فجاء بكيس كبير فيه ريات بقيمة الف جنيه فحمل مفتوحاً على حمار وسار وراءه الخواجا متى بملابسه النظيفة المرتبة وشعره المصقول وصار يفرق في الجماهير الحاضرة رياتاً رياتاً لكل واحد من الاولاد وريالين رياتين لغيرهم . وكانت الجماهير تزحمه من كل جانب فلما ابصر سليم وكليم صاحبهما « ملك راس القضيبي » بتلك الحالة الجديدة اغترافهما العجب الشديد . فكانا يدنوان منه ويتأملان فيه . اما هو فلم يعرفهما . ولم تفارقهما الدهشة حتى اطلعهما الترجمان على تفصيل الحادثة

* * * * * وفي المساء عزم كلدن وزوجته على السفر من الارز للرجوع الى اميركا بعد وجودهما ضالتهما المنشودة . فقوضا الخيام وعزما على الركوب . وكان لوقا طمعون قد انفرد عنهما بعد الحادثة ولم يلتق بمتى . فقبل السفر قصد اميليا وسألها ضاحكاً تسمح له الآن بوكالة الاشغال التي طلبها . وكان كلدن حاضراً فاجابه هذه المسألة صارت متوقفة على رضى الخواجا متى واذ قصت هذه القصة على الخواجا متى وطلب رايه فيها ضحك اولاً ثم اطرق مفكراً وبعد ذلك قال « رأي ان الصغ اولى . فان الوحش الذي سيفي الانسان لا تذله المقاومة والعناد بل الحلم والصغ . ولذلك يكون الاقل حيوانية والاكبر عقلاً اكثر صفحاً وحلماً » فلو سمع سليم وكليم هذا الجواب لقالا ان فلسفة صاحبنا في « الوحشية » وهو مجنون مخالفة من حسن الحظ لفلسفته فيها وهو عاقل

* * * * * وقبل السفر استدعى كلدن سكرتيره وقال له وهو يطوف معه بين اشجار الارز : مستر كرينيجي اما تعلم شيئاً من هذه الحادثة . فاجاب كرينيجي : تعلمت وجوب الرحمة يا سر للضعفاء الذين يسقطون في جهاد الحياة . والا لم يكن هنالك فرق بين البشر وبين الحيوانات . فقال صدقت يا صديقي . اذا خصص في كل عام مليون فرنك لمساعدة العيال التي تسقط . واكتب لحملنا يقرض مليون دولار لحمل خصمنا « ارميس » الذي افلس من مزاحمتنا ومليوناً آخر لحمل « ودن » الذي خسر ثروته في احتكاراتنا . فاني بعد الآن صرت ارى ان البشر لا يكونون

بشرًا اذا كانوا يصرفون كل ما اعطاهم الله من النباهة والعقل والقوة في مجاهدة بعضهم بعضاً
ليستأثر اقوياءهم بالمنافع والخيرات دون الضعفاء ويدوسونهم كما يدوسون الحيوانات الدنيئة (١)،

* * * * *
وفي المساء ركب الجميع مسرورين قاصدين بيروت عن طريق بعلبك وكان سليم
وكليم وامين جالسين على اكمة ينتظرونهم فلما مروا بهم وشاهد امين خصمه لوقا يحادث متى
ويضا حكه واميليا تنظر اليهما وتبتسم مسرورة لنقلب الزمان صار امين يبكي ويقول : اين
العدالة في العالم . فتنهّد سليم واجابه : العدالة يا صاح موجودة ولكن المهمّ الجدّ والانتظار
والثبات . لم تنظر كيف انتصرت اميليا ولوقا بهذه الصفات . فلا تجتدف على النواميس
الابدية فانه ليس بالامكان ابداع مما كان . وكل ظلامه مهما كانت عظيمة 'تكشف عن
صاحبيها اذا تسلم بهذه الفضائل . فان الله اعدل من ان يخذل الحق . وهو لنصرته لا
يطلب من البشر غير الصبر والجد والانتظار

فقال امين متاءوها : وما الحيلة بمن لا يستطيع الانتظار لان ايامه معدودة
فاجابه سليم . هذا وهم يا صاح وعلى افتراض صحته فان المظلوم يكون اقرب الى الله
في الآخرة مما لو انصفه الله هنا
فهزّ امين راسه وقال ، كلام حلو للتعزية ، كلام حلو للتعزية

الفصل السابع عشر

✽ حب المجانين ✽

لوقا باكل الحصر ومخاوف بصر

وكانت الائمة التي جالس عليها الرفاق الثلاثة قريبة من الكنيسة . واذا هم يسمعون
حينئذ صراخاً عظيماً فيها ففطنوا حينئذ الى مخوف الذي سجن فيها فنهض سليم ليراه . ولكنه
لم يخطُ خطوتين حتى كان مخوف قد كسر الباب وخرج منها وعينه تستطير شرراً . فلما
راى سليم صاح به اين متى ، حاروم . ولوقا طمعون . فاجابه سليم قدرحلا . فوثب حينئذ
مخوف راكضاً الى الطريق ليتبعهما واذا به يرى الدواب والاحمال امامه لانها لم تكن قد بعدت

(١) من هنا تعلم كرنيجي توزيع امواله بعد ان اشرى ثرا عظيمًا كسيده كلدن

بعد . فاطلق ساقيه للريح وراءها . فثار سليم وكليم وراءه ايضاً . فوصل مخلوف الى المسافرين وصار بقلب نظره فيهم ، فلما وقع نظره على اميليا صاح صيحة دوت لها الجبال وانطرح على الارض صارخاً : لقد صدق سليم . عادت اميليا

فضحك كلدن وقال لم نخاض من الاسرار بعد . فاخبره حينئذ متى انه شاب مجنون انقذ في زمانه حياة اميليا . فقد كلدن يده الى جيبه واخرج منها ورقة بخمسمائة دولار واومأ بها الى مخلوف قائلاً . خذ هذا تذكراً من اميليا . فصاح به ومن انت . فقال كلدن ضاحكاً انا زوجها

فيا ليتك يا مستر كلدن لم تلفظ هذه الكلمة . فان مخلوف ازدوج حينئذ جنونه فصار يضرب الارض بيديه ورجليه وراسه ويصيح «زوجها ، زوجها ، وانا اذاً من انا ، من اذنك ان تزوجها ، كيف تسلبني حقي ومالي ، عاها متى حاروم ، ما شاء الله ماشاء الله ، ثياب جديدة وشعر مقصوص ، وراكب على بغل ، قه قه قه ، بغل على بغل ، لو لم تكن بغل لما زوجت ابنتك هذا النغل وتركت رجلاً مثلي ، ولكن اظنكم تضحكون ، اميليا اميليا انسيتم بعقوب»

فقال كلدن حينئذ لزوجته مسروراً جوادك الى الامام واتركينا فوثب حينئذ مخلوف وثبة الذئب وصاح « بل انت تتركها » ثم مد يده الى جيبه واخرج منها سكيناً وهجم على كلدن

فلم يكن كلعج البصر حتى اطبق عليه كليم وسليم من وراءه وقبضا على يده فاسرع البغالون وشدوا وثاقه بجبل غليظ . فانكسرت حدة مخلوف حينئذ فصار ينوح ويصيح متذلاً باكية (اميليا ، اميليا ، بحياتك لا تركيني ، ماذا صنعت لك حتى تعذيني ، اما انقذتك من الموت . هل انقذتك لغيري ، اما احببتك عشر سنوات دون ان اساك ، اميليا اميليا ، يقولون انه زوجك ، فلا باس ، هو زوجك تغذيني انا خادماً لك ، اني اتبعك ماشياً لا راكباً ، لا اكلمك ولا ادنو منك وانما احرسك واخدمك واقبل قدمك . اميليا اميليا انظري انا صديقك تعيس الآن ولوقا طمعون عدوك سعيد . يا لسكران الجميل . يا للظلم . هو يركب بجانبك مسروراً وانا يشدونني بالحبال ويعذبونني . اميليا اميليا خذيني معك . لا تقتلي نفساً بريئة فان الله يحاسبك) فاثرت هذه الكلمات في نفس اميليا حتى بكّت لها شفقة على ذلك التعيس فخطبت زوجها مستاذنة في امر ثم وجهت جوادها نحو مخلوف فدنت منه وهو مشدود الوثاق . فكان روحه عادت اليه . فمدت يدها البيضاء اللطيفة ووضعتها على كتفه وقالت له بنغمتها الساحرة : عزيزي مستر يعقوب . فصاح مخلوف : بلا مستر بلا مستر بحياتك قولني عزيزي يعقوب

كما كنت تقولين . فقالت عزيزي يعقوب لا اقدر على اخذك الآن معي . ولكن اعدك انني ساطلبك . فصاح مخلوف . متى يكون ذلك . فقالت حين وصولي الى بلادي . فبكى مخلوف وصاح بلادك ولكن بلادك هنا . فقالت بل بلادي اميركا يا عزيزي مسر يعقوب . فعش هذه المدة مسروراً راضياً بغياي لانني ساندكك دائماً وارسل اليك كل ما تحب الى ان ييسر لي استدعائك »

وهكذا هدأ ذلك المجنون العاشق التعميس بشيء من اللطف والعود . ولكن هدوءه كان وقتياً فانه ما تحرك الركب وسار حتى اشتد به الجنون . وشرست اخلاقه فاضطروا الى شد وثاقه وارسلوه الى دير قزحيا ولا يزال في الدير الى اليوم ينشد الاشعار ويترنم بذكر حبيبته اميليا

فمسيكين انت يا مخلوف . تخاصم البحر والريح فكان الصالح عليك . ولكن اما سمعت ما قال سليم . ان العبرة بالانتظار والثبات . وانت لم تقدر على الانتظار لان عقلك رحل عند اول صعوبة . على انك لو انتظرت وكنت الآن عاقلاً فربما كنت نلت الآن اسمى منزلة عند اميليا بعد منزلة زوجها

* * * * *

اما سليم وكليم فقد اقاما في الارز بضعة ايام وكان تخلصهما من مكار بهما بطرس الثقيل بواسطة امين الذي عاد على بغله الى الحدث . وحين عودتهما من الارز يمثلين صحة وقوة كان سليم يقول لكليم كلما مرنا بالاديره : اما افنتعت الآن بعد ما راينا بناء من ثقلبات حوادث الحياة وقصصها المضحكة والمبكية انه خير للانسان الذي يريد الراحة ان يعيش منفرداً عن العالم في دير او في نفق

فتنهذ كليم وقال ليس الانفراد عن الناس هو الذي يريح الانسان . فان مخلوف منفرد الآن عنهم في دير ولكنه تعيم جداً . فراحة الانسان وسعادته في داخله اي في نفسه . فلا يبحث عنها خارجاً عنها . والنفوس القوية العادلة المستقيمة تقدر ان تكون مسرحة سعيدة حتى في وسط ثقلبات الحياة

